أعمال الرعب الأصلية
الطبعة الثانية
أندرو شريف
كهف الخلاص
رواية
ساحر الكتب

الإشراف العام:
زياد إبراهيم

المراسلات:
الدور الثانى شقة 3
71 ب حدائق الأهرام البوابة الأولى -
ميدان الرماية - الجيزة

البريد الالكترونى:
baitelyasmin@gmail.com
ziad.meguid@gmail.com

تليفون:-
(+202) 01016685583
(+202) 01110094625

اسم العمل: كهف الخلاص - رواية
المؤلف: أندرو شريف

الناشر:
بيت الياسمين للنشر والتوزيع

رقم الإيداع:
2023/30352
الترقيم الدولى:
9789778172805
تصحيح لغوي: حنان الألفي
حقوق الطبع محفوظة.
الطبعة الأولى 2024

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو اي جزء منه أو تجزئته في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطى مسبق.

الإهداء

إلى أمي وأبي وأخي؛ العون والحافز لي بكل إنجاز في حياتي.. أدامكم الله بها.

إلى سامي ميشيل ومحمد شعبان؛ لطالما كنتما وستظلان خير أهل بعد أهلي..

(فكلٌ منا يستحق فرصة نغير بها حياتنا)

أمير الراوي

المقدمة

عندما كانت الفاحشة عادة يقوم بها البشر، تلوثت الأرض، واجتاح الشر يابسها، كانت تلك اللحظة الحاسمة لتطهير الأرض من شرورها، عن طريق طوفان عظيم سيغرق اليابسة، شيء لا يستوعبه عقل بشري، فانتشرت التحذيرات عن اقتراب موعد الطوفان، وكان الرد من البشر السخرية، عدم التصديق، ووسط تلك الأخبار تُبنى سفينة وسط الصحراء عن طريق رجل تم اتهامه بالجنون، فكيف من طوفان - أياً كان عظمته - يصل إلى صحراء جرداء؟! وعند اقتراب الموعد، تمتلئ السفينة.. الأمطار تتساقط بغزارة، يهرب البشر لقمم الجبال، والتلال العالية. وكانت النهاية لهم محتومة.. الموت؛ فهو صديق البشر الأزلي.

ومن تلك اللحظة رسمت نقطة البداية، ونجت فصيلة نادرة، ادعت بأنها نسل الوعد، عاشت أحداث ما قبل الطوفان، وكان رجل يدعي بأنه الحكيم وسط عشيرته، له من الرأي واحد لا غير، وهو البقاء بصحراء يابسة ليس بها ماء، حيث أن آبارها موردها الوحيد لوجود مياه صالحة للشرب، فتبعه كل أبناء القبيلة، وافقوا على كلماته الملونة بأن الطوفان لن يصل لنا إن حدث، وفي الليلة الموعودة، هطلت الأمطار بغزارة، وانشقت الأرض، فخرجت منها مياه بغزارة، وتسلق الأطفال آباءهم من الخوف، أما الآباء فلم يجدوا ما يتسلقوه بصحراء جرداء، ليجد الحكيم الحل.. الحل الذي جعلهم يعيشون بكهف آلاف السنين، نتج عنه الحرية للبشر على

الأرض، والسجن الأبدي للقبيلة في جوفها، إلا وكان الخروج اضطراريًا لكبيرهم، فيعيشون على وعد دام لسنوات، ينتهي بانتهاء البشر، وخروجهم من جحورهم، ليعيشوا ما فاتهم على مر الزمن، وإن أنقض الوعد، ماتت القبيلة في مياه دامت محبوسة خلف جدرانها.. جدران كهف الخلاص، ويغرق نسل أسطوري، سُمي بنسل الوعد.

الفصل الأول: نسل الوعد

في موضع أسفل الأرض، تحديدًا بأحد البقاع الصحراوية، يوجد ممر طويل، نهايته تجد عشيرة تعيش هنا مُنذ آلاف السنين، سُمي ذلك الموضع بكهف الخلاص، وعلى الرغم من تلقيب العشيرة التي تعيش هناك بنسل الوعد، إلا أن زمام الأمور تسري هنا تحت قوانين محددة، وهو ما لا ينفي تماما وجود فاحشة متناثرة، أشخاص عراة يتمشون تحت أسقف منازلهم الصخرية وخارجها، ما هي إلا عادة طبيعية لأفراد القبيلة، إلا أفراد عائلة الكبير، يرتدون ملابس حريرية آتية من السطح، عند الخروج لإتمام بعض العمليات، ولعدم وجود أقمشة بداخل الكهف تساعدهم لصناعة الملابس كالبشر، فذلك الكهف لا يرتوي إلا بالماء لضمان الحياة، عن طريق ينبوع الوعد.. كما لقبناه مُنذ القدم، والكثير من الصخور المتناثرة لكبر حجم الكهف، التي جعلناها فيما بعد بيوتًا ننام أسفل أسقفها ليلًا، ذلك حسب نظامنا البلوري في منتصف الكهف، وبالتحديد داخل معبد الحكيم المتحجر، الفيصل بالنزاعات، فينتج عن ذلك هدوء أوضاع الكهف.

على الرغم من انتشار كل ما هو غير مناسب، استعنّا ببعض القوانين الأخلاقية لضمان السلطة، وهدوء الأوضاع، يأتي هنا دوري بالإشراف على الكهف، كوني كبيراً على أفراد العشيرة، والمُنفّذ الأول لضربات وليّ النعمة فوق سطح الأرض، من أمراض، أوبئة، هزات أرضية، انفجارات بركانية، كل ما هو مُشتت لأذهن البشر، وضار بمنافعهم، وكل ما يُسعد وليّ

نعمتي، وإن رأيت تلك النقمات، وشعرت بها، أعلم أن كبيراً مر من هنا، بجانب ضفاف الأنهار، وداخل فوهات البراكين، ينشر الفساد، ويغرق البشر في ظلام دامس، لأعيش أنا الكبير برغد كبير بمعاونة من كان السبب الرئيسي بإنقاذ شعبي من طوفان محتوم.. تلك لم تكن كلماتي، بل كانت كلمات جدودي، ومَن سبقوني لرعاية العشيرة، ومضايقة البشر، أما أنا فكانت اتجاهاتي تختلف عنهم قليلًا، ومُجرد التفكير فيها ينزعج ولي النعمة الذي يطوف حولي، فيتخذ قراره البديهي في أمر الحكيم باستدعائي. وقبل أن يطلب الحكيم زيارتي، وأنا أجلس في غرفتي على موضعي الصخري، سمعت أصوات أنفاس جانبي، تحولت إلى همسات غير مريحة، وكلمات مريبة:

-أريس، كبيرنا المُبجل، بماذا تفكر يا صديقي؟ تلك النظرة الواضحة بعينك، هي نظرة شرود، أتفكر بالخطة الموضوعة مُنذ سنوات؟

قُمت من موضعي الصخري، نظرت لأعين المُتحدث، أوسر صديقي مُنذ الطفولة، والده كان صديق وفي لوالدي، قبل أن يُقتلا على يد بشر متوحشين وهما بأحد مهمات نشر الخلاص، ونتج عن موتهما، تعييني كبيرهم الجديد، لأكون مُضطرًا في الترابط مع حبيبتي لورين، كي تنجب طفلًا صغيرًا يحكم خلفي، ويُمسك بزمام الأمور.. قاطعني أوسر صديقي:

-لماذا الشرود يا صديقي؟.. الوعد يقترب، حينها سنعيش

برغد كبير، إنني لا أرى أي شيء يدعو إلى الشرود، أو التفكير الكثير، إلا إذا...

حينها قاطعته وقلت:

-أنت لن تفهمني أوسر.

ابتسم أوسر بسخرية، ووضع يده على كتفي وهو يتحدث بهدوء شديد:

-ولمَ الفهم، وأشياء ساذجة تدور داخل عقلك؟!... أنت الكبير، ولك النصيب الأكبر من الأرض عند انقضاء الحياة على سطحها، وها هي الأمور تحدث، فلمَ تعقيد الأمور مع الحكيم واتباعه؟!

تحركت خطوتين للأمام، جلست على فراشي الصخري، ثم قُلت بتفكير عميق:

-لماذا الموت؟ ما حدث بالماضي أغرقهم جميعاً، لم يتبقَ منهم إلا القليل، والذي منه أصبح للعالم عدد يُحتذى به.

ظهرت علامات الغضب داخل أعين أوسر عندما قال:

-لكنهم قتلوا أباك قبل أبي حتى.

قاطعته بعفوية شديدة وقُلت:

-حينما رأوهما يرميان سحرهما الملعون داخل نهرهم.

-لنعلم بعد أربعة أيام عن موتهما، ونجد جثتيهما مُنتفختين تأكل فيها الديدان، فنقوم بحرق جثتيهما دون كلمة وداع

واحدة.. تلك الحقيقة يا صديقي، لا تستبدلها ببعض الحماقات داخل رأسك المفخخة، مُنذ رؤية ذلك الشاب الملعون على ضفاف النيل وهو يحاول قتلك، ليملأ قلبك الضعيف ببعض العاطفة على أشخاص لم يهتموا بشأنهم في يوم من الأيام.

أكمل أوسر الحديث بغضب:

-الخطة ستنفذ يا أريس، الوعد قد اقترب، والحياة على سطح الأرض وشيكة، تذكر حصتك الكبيرة، حينها ستقتلع قلبك الضعيف من جسدك، لا تنسَ أباك شمشون، والأهم من ذلك قاتلهُ.

أدار أوسر ظهره، وتمشى إلى الخارج وهو غاضب، فأملت ظهري له، وقُمت أفكر فيما دار بيننا مُنذ لحظات، حتى سمعت أوسر يتحدث:

-الحكيم يريدك بالمعبد، تلك كانت رسالتي قبل وصولي هنا.

سمعت أصوات أقدام تتلاشى تدريجيًا، علمت منها أن أوسر قد مضى، لكن الحديث بيننا لم يمضِ، فلن أنسى تلك الكلمات التي تشعرني بالتوتر، فالحكيم يتلاعب بالكلمات، وينتظر الوعد بفارغ الصبر، جسده الصخري لا يحتمل البقاء لبعض الوقت. استرخيت دقائق معدودة، قبل أن أخرج من منزلي الصخري، لملاقاة الحكيم، ورأيت في أعين أفراد عشيرتي الأمل الملوث، أشخاص يعيشون بالفاحشة طوال حياتهم، فهناك من يقتل أبناءهم لتحديد النسل، وهناك من

يفعل الفاحشة مع أولاده دون أن يشعر، لينتهي بي المطاف إلى المعبد الصخري، أكبر مبنى صخري وأهمهم، ذلك لمخافة العشيرة على البلورة، إنها مصدر الضوء الوحيد الموضوع أعلى عصا حجرية يمسكها الحكيم، فنظامنا البلوري لا يختلف كثيرًا عن النظام الشمسي بالدورة اليومية، بالليل ينخفض ضوء البلورة لتنام العشيرة، وبالصباح يزداد شعاعها ليفيق أفراد العشيرة، فيصطادون العديد من الديدان والحشرات بين الصخور لنتغذى عليها، وينام الحرس مُعظم أوقات اليوم لحين استدعائهم عن طريق لورين حبيبتي، وتستمر عمليات البناء لنحت الصخور عند الحاجة لمنزل جديد، أو تمثال لأفراد عائلتنا الكبيرة، وفي تلك اللحظة يظهر أعظم بناء مُنذ نشأ الكهف، وهو معبد الحكيم، المُرصع بالجواهر، ذو الأسقف المنخفضة، ذلك للحفاظ على ضوء البلورة، لتنير لنا طريقنا، كطول المعبد الذي يتخطى الألف ذراع، كي يكون المبنى الأهم بالكهف، وهو معبد الحكيم، الآن أنا اقف أمامه، لأقرأ الكلمات المحفورة على مدخله الصخري (هنا يجلس الحكيم).

اتخذت قراري بالدخول إلى الحكيم، وتحدي كلماته الملونة، التي تجوب حولي كالأفعى الجائعة، وتريد التهام فريستها في أسرع وقت ممكن، وبمجرد دخولي سمعت الحكيم وهو يتكلم بصوته الهادئ المكتوم، الذي تعرفت عليه مُنذ أن كنت طفلا صغيراً، يتعلم أساليب الحياة بذلك الكهف الملعون:

-أرى أنك تريد المغادرة قبل وصولك حتى إلى بلورة النجاة.

علمت أنه أستطاع قراءة أفكاري كعادته السيئة، ويكون

بتلك الهبة الأقوى على أرض الكهف، على الرغم من مكوثه داخل صخرة طوال تلك السنوات، وفي تلك اللحظة قاطع تفكيري مرة أخرى وهو يقول:

-طريقة تفكيرك تلك ستلعنك، تجعلك منبوذًا طوال الحياة فوق سطح الأرض... الحياة التي تمانع وجودها لبعض المعتقدات المسمومة من البشر، دائماً ما كان تحذيري إلى والدك شمشون واحدًا، وهو ضعفك الدائم، سيطرة نبضات قلبك على سلطتك التي ما ذمت محظوظا لتوليها في يوم من الأيام.

شعرت بالتوتر الشديد، الخوف من كلماته الملونة، فهو دائماً ما يعرف كل شيء، لكنني حاولت التلاعب ببعض الكلمات، حتى أنهي ذلك الحديث المريب، فشعرت بألم شديد داخل رأسي، كان سببه رؤية قديمة لأبي هو وصديقه المقرب، كانا يتحدثان وهما مُبتسمين، فخورين بالعمل الذي قاما به على ضفاف النهر، ليُطلق عنصر معدني كالمطر عليهما، فاخترق أحد تلك المعادن رأس أبي، ثم وقع على الأرض، وبمحاولة سريعة من صديقه لإفاقته، فشل.. بل تلقى أحد تلك المعادن بفخذه الأيسر، وأخرى بمنتصف رأسه، فكان مصيره هو الآخر الموت، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، ذكر اسم أوسر ابنه، وتساقطت الأمطار بغزارة، ثم تحولت إلى ثلوج بلورية، فهرب هؤلاء الأشخاص دون أن يمدوهما بالمساعدة حتى.

سقطت الدموع من عيني كالمطر، وهدأني الحكيم وطلب مني بهدوء شديد الرجوع عما أفكر فيه، وبخبث أخبرني عن

وصول أخباري إلى وليّ النعمة، حيث أنه مستاء لما يحدث، وفي أحلك الظروف هو السبب الوحيد لبقاء عشيرتنا على قيد الحياة. مسحت دموعي، وأخذت نفسًا عميقًا، تحدثت بكل هدوء:

-أريد تأجيل الموعد لبعض الوقت.

صوت ضحكات الحكيم ملأ المعبد، وأردف بكل خُبث:

-لا تقلق، حفل إيما لن يتأخر كثيرًا، موعده بعد ساعات من الآن، والموعد الأكبر سيكون بعد أيام.

-ألن تكف عن تلك الألاعيب؟! لماذا تقرأ أفكاري؟! أنا لم أذكر إيما بالحديث، حيث أن حفلها سيقام بعد شهر من الآن.

-الحفل لن يقضي كثيرًا من الوقت أريس، لننهي تلك الخطة الموضوعة مُنذ سنوات، من الواجب التعجل بالحفل، أنت تعلم جيدا أن وليّ النعمة لن ينتظر كثيرًا، السحر بات قيد التنفيذ.

في تلك اللحظة ضوء البلورة بدأ بالتذبذب، وظهرت زجاجة لونها أحمر داخل أمعاء الكبير الصخرية، فعلمت بأن السحر قد اقترب أمره، ومحاولاتي لتعطيل الأمور باءت بالفشل، فعاد ضوء البلورة في نشر شعاعه بشكل مُنتظم، وأغلق الحكيم أعماقه على سحره الملوث، وانتهى الأمر بقبول كلماته، وقمت بهز رأسي وأنا أقول:

-سنستعد جيدًا لحفل الارتباط.

لم يصدق الحكيم كلماتي، علم جيدا بثبات موقفي، وهو الترابط مع البشر، فخرجت من معبده وأنا أسمع صوته وهو يقول:

-استمع لكلمات حبيبتك لورين.

لم أفهم مقصده بتلك اللحظة، لأنها لم تشغل تفكيري، فخرجت من المعبد، ومررت على أفراد عشيرتي لأتابع مجريات الأمور المأساوية التي نعيش فيها.. لطالما كنت أعيش برغد كبير بقصري الحجري في زاوية الكهف، فينتهي هدوئي كلما اطلعت إلى تصرفات عشيرتي، أشخاص عاشوا تحت عبادة الحكيم، لينفذوا أوامر ولي نعمة لا نعرف إن كان مخططه سيجدي أم لا، فضاعت سنوات من الحسرة أسفل جداران كهف حجري.. كهف ملوث بقاذورات بشر عاشوا العديد من السنوات السوداء.

ظللت شاردًا كما أنا حتى وصلت إلى قصري الحجري، وقابلت لورين لأفهم منها كلمات الحكيم.. فكانت فتاة ذات قوام متناسق، وأعين واسعة، أخذت نصيب فتيات أخريات بجمالها الذي غطّى على عيوبها السوداوية، واتجاهاتها الدائمة للسلطة، وتنفيذ خطة ولي النعمة، فكانت مقابلتنا الأولى بين أفراد عشيرتي، لابنة رجل أعمى القلب قبل أن يكون أعمى العين، يستغل ابنته الصغيرة لورين ليبيع جسدها ليلًا بين أفراد العشيرة، فيضمن القوت اليومي من الحشرات، حتى استطعت أن أنتشلها من بين أيدي أبيها، بعدما قُمت بقتله بين أفراد العشيرة، وعاشت لورين معي بالقصر

الحجري لتخدم أبي، وتخدمني مساء كل ليلة، حتى أتت اللحظة التي علمت فيها بأنني أعشقها، وفي لحظة تعييني كبير العشيرة، اضطررت أن أترابط مع حبيبتي لورين، تلك الكلمات اشتعلت بداخلي عندما نظرت إلى عينيها المثيرتين، وصارحتها بحبي لها عندما قُلت:

-أتعلمين أنني أُحبك بشدة لورين؟

في تلك اللحظة بادلتني لورين القُبل، وصارحتني هي أيضًا بحبها لي، فظهرت علامات الخجل على أعينها، وأخذ الصمت حيزًا بين حديثنا، عندما حاولت الهروب من نظرات لورين لي، ولذكائها المُفرط حول قراءة العيون، حاولت مقاطعة تلك النظرات، فوضعت إصبعها على فمي، ثم احتضنتني، ونطقت كلماتها الدافئة:

-أتظن أنني لم أعلم مُنذ نظرتك الأولى لي، بأنك تذكرت والدي المخبول، وتلك اللحظة التي انتشلتني فيها إلى قصرك الصخري؟!

وضعت رأسها على قلبي وأكملت حديثها:

-دقات قلبك تخبرني بأن مقابلتك للحكيم لم تكن جيدة.

حاولت مقاطعتها مرة أخرى، لكنها أسكتتني بكلماتها الحازمة:

-لكنك تعلم جيدا بأن ذلك الحديث الدائر داخل رأسك لن يحدث بيوم من الأيام، لا تنسَ أننا قد طُردنا من أرضنا مُنذ

آلاف السنين، فمن العدل أن نشكر وليّ نعمتنا، لولا سحره القوي، لكان جدك سيراط ذكرى، والحكيم كومة رمل أسفل الماء، أليست تلك الحقيقة، أم لا؟؟

كلماتها المنطقية لطالما تغلبت عليّ دائما، فكانت تلك الكلمات ما هي إلا حقيقة أعيشها مُنذ سنوات، وختمت حديثها بالقصة المأسوية التي حدثت لأبي شمشون وصديقه يامن، فانتهى الحديث بقدرة البشر الهائلة على صنع الشر، وسحرنا المُندثر أسفل حبات الرمل للقضاء عليهم.

بتلك اللحظة أسكتها عن طريق تقبيل رأسها، وأخبرتها بأن الحقيقة ما هي إلا ذكرى تجعل اندفاعك إلى ارتكاب شيء ما.. ما هو إلا إرشاد من عاطفتك البشرية، التي لن نستطيع تجاهلها حتى وإن عشنا آلاف السنين أسفل ذلك الكهف.. فأردفت لورين وهي غاضبة من حديثي المتنافي تمامًا عن كلماتها الدافئة:

-أريد أن أقتلع ذلك الغشاء القائم على عينيك المُثيرتين للفضول.. دائما ما تفكر خارج سياق الأمور.

قاطعتها مبتسماً:

-ليتبين في النهاية بأن تفكيري حقيقة مبنية على وقائع قد حدثت بالفعل.

نظرت لي لورين بنظرة غضب أعلمها جيداً، وحل الصمت بيننا، حتى تكلمت لورين بالنهاية وهي غاضبة:

-أتشكك بتلك الرؤى التي تراها على فترات مُتقطعة!!.. أتشكك في هبة قد أعطاها لك ولي نعمتك لتكون فريدة من نوعها؟! وإن نسيت فأنت الكبير، الرأس الأكبر على أرض الكهف..

قاطعتها بانفعال شديد:

-بعد الحكيم.

أخذت نفسًا عميقًا لأكمل حديثي:

-الرأس الأكبر بعد الحكيم يا لورين، هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة، وأنا المُنفّذ لطلباته.

-لماذا الغضب على حكيم اكتسب خبرة من سنوات كثيرة عاشها بالكهف؟! أيضاً لا تنسَ أنه الوحيد القادر على التواصل مع ولي نعمتنا، فهو من يستطع التحدث معه ليلًا عندما تنام على فراشك تلهو معي، لا تفكر في الأمور بتلك الطريقة أريس، تراجع عن قرارك المُتعجرف، ثم استمع إلى كلمات الحكيم، الموعد قد اقترب.. أرجوك، لا تفسد لحظة عشنا عليها سنوات من الشقاء.

ظل الصمت بيننا بعض الثواني، حتى تفوهت لورين بكلماتها الأخيرة، قبل أن تغادر الغرفة وهي حزينة من تصرفاتي:

-سأذهب حتى أباشر عملي أريس، استَرح قليلاً إن أردت، حفل الارتباط يقترب، قد علمت من أوسر بأن الحكيم قد

أخبره عن الموعد الجديد.

خرجت لورين من الغرفة، واستلقيت على فراشي، وظللت أنظر إلى بعض الأحجار الكريمة الموضوعة بسقف الغرفة.

الفصل الثاني: صوت طبول

كانت الرؤية ضبابية، مثل ما أكون وسط عاصفة رملية شديدة، ومحاولاتي للوقوف جميعها باءت بالفشل لقوة العاصفة، وعدم قدرتي على التوازن، حتى تبدلت الأماكن، ووجدت ضوءًا ساطعًا بعيدًا من الصعب تميزه، نتيجة الرمال التي غشت عيني من العاصفة الرملية، قاومت حتى اتكأت على يديّ لأستكشف الموضع، وشعرت بأصوات كثيرة حولي، وطريق طويل بنهاية ذلك الضوء الساطع، حتى اختفت بقعة الضوء، وتحولت إلى كائن لطيف الشكل، يقترب مني بسرعة تتخطى سرعة الصوت، واخترق جسدي حتى وجدت نفسي بموضع آخر فيه الماء تحول إلى رمال، والبشر يسقطون واحد تلو الأخر، ليتشاجروا على قطرة المياه الأخيرة.

اختفت الرؤية الضبابية من عيني، ورأيت كيانًا مُظلمًا خلف بعض الأشخاص الواقفين وسط صحراء جرداء، فاقتربت أكثر منهم، حتى اتضحت الرؤية، ثم رأيت مريم واقفة وسط الصحراء، خلفها كيان مُظلم لم يترك عقلي مُنذ طفولتي المأساوية، فكنت طفلًا ابن تاجر أقمشة كبير، أرى أشياء مريبة بأحلامي، وكل ليلة أشكو فيها عن ما أراه خلف دولابي الخشبي، والدي كان يكذّبني، لا يعرف أنني أستطيع سماع همسات كيان مُظلم يحذرني من مستقبل ضبابي، يموت فيه البشر، وتعيش فيه كائنات شيطانية، تسيطر على جميع أنحاء العالم، حتى تجف قطرة المياه الأخيرة.

بتلك اللحظة سمعت صوت بكاء مريم، وطلب استغاثتها مني، خوفاً من كيان يهمس في أذنيها همسات الموت، فرأيت سيفًا ساطعًا يخترق أحشاءها أمامي، لتكون كلماتها الأخيرة قبل موتها هي الخلاص.. الخلاص من همسات تعايشت معها سنوات من الألم لحين موت أبي وأمي، نتيجة فيروس لعين انتشر بمصر والعالم، فيروس ديلتا، فظهر من العدم المُنقذ الدائم الذي طالما تعودت على تدخلاته المميزة، ليقتل الكيان، يبعده عن موضعي، يمد لي يد العون، حتى ألتقطها وأنا أمسح دموعي من موت حبيبتي مريم، رغم أنني أعلم بأنه مُجرد حلم سيئ يراودني كل ليلة أنام فيها حزين، وبالنهاية امتلأت السماء بكائنات الظلام، حتى أمطرت بالدماء، وقبل أن تلمسني قطرة دماء واحدة، أفقت من حلمي على صوت رنة هاتفي، فاستجبت لها:

-الموت طريقك، لمَ التعجل إذا؟!

ذلك الصوت ما هو إلا مسك الختام لحلمي من متصل مجهول يحذرني من موت مُبكر.. في تلك اللحظة شعرت بالبلل على فراشي، وعندما نظرت حولي، وجدت نفسي نائمًا على فراش مبتلة هي وسروالي القطني، فاسترجعت سنوات الطفولة بعد كل كابوس أفيق منه، الذي جعلني أعتاد على الرطوبة الآتية من فراشي كل صباح.

استمعت إلى صوت هاتفي يرن مرة أخرى، حتى ألتقط الهاتف، وضغطت على زر الرفض، حيث أن المُتصل لم يكن إلا صديقي فارس يقوم بتعجلي حتى أفيق للجامعة.. لم

تمر عشر دقائق قبل أن يرن جرس منزلي، علمت حينها بأن الواقف أمام الباب هو صديقي فارس، فكان الملل هو نصيبه من الوقوف أمام المنزل لانتظاري. قُمت بفتح الباب مُسرعا لأتفادى رنة هاتفه المعتادة لي، وقبل أن أفتح الباب، انفجر فارس في وجهي كالقنبلة الموقوتة:

-لمَ التأخر يا صديقي؟؟.. أنت تعلم بأن دكتورة دعاء.. دكتورة محاسبة التكاليف لن تنتظر كثيراً حتى تقفل بابها، ولا تنسَ درجات الميد ترم، فهي السبيل الوحيد للنجاح.

ابتسمت في وجهه بكل هدوء قبل أن أرد عليه:

-خمس دقائق حتى استبدل ملابسي، ضف عليها خمس دقائق آخرين بالسيارة الخاصة بي حتى نصل للجامعة، يتبقى خمس دقائق على موعد المحاضرة، النتيجة بالنهاية هي جملة بسيطة (لا تقلق يا صديقي)

تبدلت ملامح وجهه إلى ملامح هادئة قاطعني بها وقال:

-أتعلم أمير؟! لطالما أردت نصف برودك، أخبرني إن كنت تأخذه على جرعات، فطالما كنت أريد معرفة المادة الفعالة للبرود، حتى أحرقها من العالم، هيا تحرك وافعل شيئًا، لا تقف أمامي كلوح الثلج!!

قاطعته وأنا مبتسم:

-اضعت خمس دقائق بحديثك غير المُجدي، إذًا سنصل على الموعد... انتظرني، والتقط مفاتيح سيارتي من أعلى

المنضدة، وحتى لا نضيع المزيد من الوقت، انتظر بالأسفل جانبها.

نظر إليّ بنظرة غضب، ثم أخذ المفاتيح وهو شاردًا بوجهي الوسيم.. حينها ارتديت ملابسي، وأكملت ارتداء حذائي في السيارة أسفل المنزل، ثم أدرت المُحرك، وقُدت إلى الجامعة، في النهاية وصلنا بالموعد المناسب، وكالعادة تفاجأ فارس من صحة حديثي، أما أنا تنفست الصعداء من عناء الطريق الذي يبعد جامعة القاهرة عن السيدة زينب بمسافة ليست كبيرة، وعندما وصلنا إلى بوابات الدخول، طلب مني أحد أفراد الأمن البطاقة الجامعية، حتى يتأكد من صحة دخولي، فأخرجت البطاقة الجامعية الخاصة بي ووضعتها أمام وجهه، ودون أن ينظر فيها، أشار لي بيده حتى أعبر البوابة، وبتلك اللحظة رأيت ذلك الوجه الملائكي، صاحب الابتسامة الرقيقة الذي ينسيني همومًا صمدت معي طوال الليل، فوقفت شارداً بضع ثوانٍ حتى قاطع عامل البوابة شرودي، وطلب مني التعجل في أمري، هناك من ينتظر دوره، لم أرد عليه، وأكملت طريقي للداخل، حتى وقفت أمام مريم حبيبتي، وعندما صافحتها.. أخبرتها بأنني قد حلمت بها ليلاً، حتى أثير فضولها لتسألني بماذا حلمت، لكنني تفاديت إجابة السؤال رغم سهولة الإجابة.. الإجابة التي تتكرر كل ليلة بموتها عن طريق كيان مُظلم يراودني من طفولتي.. وبتلك اللحظة قاطعني فارس صديقي حتى نصعد إلى المدرج، وانتهى حديثنا عندما دخلت دكتورة عبير، التي باشرت شرح

المادة دون إهدار دقيقة واحدة، أما أنا فاستغللت انشغالها بالأرقام المحاسبية، ووضعت رأسي أعلى الدرج الخشبي أمامي، وأرحت رأسي قليلا من استقبال المعلومات.

بتلك اللحظة بدأ عقلي يحدثني عن أشخاص كثيرين، منهم مريم حبيبتي، التي لم أستطع أن أعرفكم عليها بشكل جيد، حيث أنها الفتاة التي ظللت سنوات الجامعة الأولى أراقبها من بعيد، فكانت دائما الفتاة الأولى بالنسبة لي، جمالها يذكرني برائحة نسمات الفجر، حديثها يشعرني بالطمأنينة، التي ظللت سنوات افتقدها بعدما فقدت أبي وأمي عن طريق الفيروس اللعين.. فيروس ديلتا.

التفت برأسي تجاه حبيبتي مريم، فكانت شاردة بالمحاضرة، ومن سوء حظي لم أتمكن من رؤية ابتسامتها الملائكية، فهي تشعرني بالسعادة المفرطة نتيجة فرز هرمون السيروتونين بوفرة شديدة.

وقبل أن أنغمس في أحلامي، سمعت صوت طبول، فهناك شخص متهور يفسد أجواء المحاضرة المملة ببعض الطبول الممتعة، فقام جميع الطلاب من موضعهم وهم مبتسمين، يرقصون على أصوات الطبول.. مريم حاولت أن ترقص معي، لكنني كنت شارداً بشيء أخطر بكثير، وهو ذلك الكيان المظلم الذي ظهر وسط الحشد من الطلاب، يرفع عصاه ويطرق عدة طرقات على طبلته الخشبية، وتحولت العصا إلى سيف يلمع، ثم نظر الكيان المظلم إلى دكتورة عبير وهي ساخطة على ما يحدث، تحاول أن تنادي على عمال المدرج لمساعدتها

بإخراج هؤلاء الغرباء عن محاضرتها، لكنها فشلت حيث أن عمال المدرج اندمجوا مع الطبول، فانتهز الكيان المظلم انشغال الطلاب والعاملين بالحفل الصغير الذي أقامه، وانتهى باقتلاع رأس دكتورة عبير من جسدها، شعرت بصدمة كهربائية شديدة ضربت جسدي، بمُجرد اختراق السيف رقبتها، وقمت من موضعي وأنا أصرخ فيه:

-لماذا القتل؟!! ألا تعلم شيئًا بحياتك إلا القتل؟!!

شعرت بيد انتشلتني من موضعي، وعادت الأمور كما هي:

-أمير، دكتورة عبير تريدك، قُم يا رجل.

صوت فارس كان يرن في أذني حتى قُمت، فكانت دكتورة عبير تناديني لإجابة سؤال، من الصعب الوصول إلى إجابته دون ورقة وآلة حاسبة، ذلك وسط مساحة من الوقت جيدة للتفكير وربط الأرقام ببعضها.. قطعت شرودي كلمات دكتورة عبير وهي تتحدث بسخرية:

-كنت أعلم بأنك ستقف أمامي شاردًا دون إجابة واحدة، أتعلم؟.. أمثالك من أشخاص تائهين وسط العلم سيجعلك نكرة وسط مجتمع يريد التطور.

نال مني الإحراج وسط نظرات الطلاب الساخرة مني، فحاولت تهدئة نفسي ببعض الكلمات المُبعثرة داخلي، عندما تمنيت اقتلاع رأسها كما حدث مُنذ قليل عن طريق الكيان المُظلم، الذي سمعت صوته بتلك اللحظة:

-أحلامك ما هي إلا حاضر تريده، ومستقبل تخطط له.. لا تحاول أن تكون شخصًا ساطعًا، وأنت صديقنا السفلي.

عقبت على حديثه صارخاً:

-ارحل، أنت تفسد لحظاتي السعيدة، إن كنت تريد الاستمرار في ألاعيبك اظهر، لا تتخفَ خلف أسوار عقلي محلقًا حول ذكرياتي السعيدة.

قاطعتني دكتورة عبير بصوت خائف، فمن الواضح أنها سمعت الحديث الدائر داخل عقلي:

-من فضلك اخرج، عندما تأتي المحاضرة مرة أخرى ضع التركيز عنوانك..

قُمت من موضعي وأنا أنظر لأعين الطلاب، التي تحولت نظراتهم من نظرات سخرية إلى نظرات رعب من كلماتي المفاجئة، وفي لحظة إغلاق باب المدرج خلفي تخطيت شعور الإحراج، لكن الباب قد فُتح مرة أخرى، من الواضح أن هناك شخصًا آخر طُرد من المحاضرة، وعندما التفت خلفي وجدت فارس واقفًا أمامي وهو مبتسم، ثم قال وهو يضع يده على كتفي ويتحرك:

-أتعلم؟!.. المجيء لعبير ما هو إلا مضيعة للوقت، فهي شخصية ساخطة، ديكتاتورية.

-تركت المحاضرة وأتيت خلفي لكي لا تتركني وحيداً، أم أنك مللت من حديثها؟

-بل لدخول المرحاض، أشعر أنني سأنفجر يا صديقي..

انفجرت أصوات الضحكات بيننا، وتركني فارس وذهب إلى المرحاض، جلست وحيداً أمام المدرج انتظره، لكن مريم قد خرجت أولًا من المحاضرة دون باقي الطلاب.. بديهيًا علمت بأنها خرجت قبل انقضاء وقت المحاضرة. مرت لحظات قبل أن تجلس مريم جانبي، وهي تحاول إخراجي مما حدث داخل المحاضرة من دكتورة مريضة، حينها شعرت بسخونة شديدة آتية من اتجاه مريم وهي تتكلم، قاطعتها بتلك اللحظة:

-أتشعرين بتلك الحرارة؟؟.. أم أن حرارة جسدي ارتفعت من شدة التفكير؟

أجابتني وهي مبتسمة، وأصوات الطبول ظهرت مرة أخرى:

-الحقيقة مدفونة أسفل الصحراء مُنذ سنوات، احذر من أقرب الأشخاص إلى قلبك، قبل أن ينتهي الوعد.

قُمت من موضعي، وأخذت العديد من الخطوات إلى الخلف وأنا مرتعب، وتحول جسد مريم إلى كتلة من النار تشتعل، والطلاب الواقفون داخل الحرم وأمام المدرج بالتحديد ينظرون لي وهم مرتعبون، منهم بعض الفتيات اللواتي انفجرت أصوات صراخهن، ومن الرجال الذين وقعوا على الأرض واضعين أيديهم على آذانهم من صوت الطبول يطلبون النجدة، هرب الباقي وتركني واقفاً مع حبيبتي الشيطانة، حاولت التحدث معها حتى أفيقها من سيطرة

الكائن عليها، لكنها اقتربت مني بهدوء شديد، وأمسكت رقبتي، والتقطت سكينًا أسود من حقيبتها لتنحرني بدمٍ بارد وهي تتحدث بصوت مرعب:

-لن يستطع أحد مساعدتك، فصوت حشرجة موتك يقشعر بدني كفوزي بحرب..

وضعت يديها ذات الأظافر السوداء على عيني لتغمضها، وبعد لحظات أفقت على صوت صديقي فارس وهو يساعدني بالنهوض مرة أخرى، حتى اتكأت على قدميّ، واستوعبت ما حدث مُنذ لحظات، عندما أخبرني فارس بما حدث، وأنه رآني من بعيد أخنق نفسي وسط ذهول الحضور، فهرب الجميع إلا الرجال.. كانت كاميراتهم لها النصيب بالتقاط صور لذلك المشهد السينمائي داخل الحرم الجامعي، حتى أغمى عليّ لنقص الأكسجين دون مساعدتهم لي، وهو قد أتى لإفاقتي عن طريق مساعدة تلك الفتاة الصالحة الواقفة عند المدرج خائفة.. ذلك عن طريق بعض المياه، فرفعت يدي إلى الفتاة وشكرتها على ما حدث، لكنها هربت من نظراتي المرعبة لها، ظناً منها بأني مُختل عقليًا يجلس معها داخل الحرم.

بتلك اللحظة أعطت دكتورة عبير الراية البيضاء في انتهاء المحاضرة، وخرجت مريم مرة أخرى من المدرج، أخبرت صديقي فارس بأن لا يخبرها بما حدث، ويكون ذلك السر بيننا نحن الاثنين، وسط نظرة منه تخبرني بأنه يريد معرفة الحقيقة، إذا كان ما حدث سيتكرر مرة أخرى أم لا.. أنقذتني

مريم من نظراته لي عندما أتت حتى تطمئن عليّ، وأخبرتها بأنني سعيد بما حدث، دائما ما كانت دكتورة عبير ذات طابع مُختل لطرد الطلاب من المحاضرة، فانفجرت الضحكات بيننا، وقالت مريم:

-لماذا تجلس على الأرض؟؟.. لم ألاحظ ذلك منذ البداية، حدث شيء بغيابي؟

أخبرها فارس بأنني وقعت على الأرض دون قصد، لكنها لم تقتنع، وكادت تعرف الحقيقة، لكن رنة هاتفها أنقذتنا، وكان المتصل والدها، اعتذرت منا مريم، وتحركت عدة خطوات لترد على والدها، أما أنا قُمت من موضعي، وجلست على كرسي بجانبي، وتصفحت قليلًا على مواقع التواصل الاجتماعي.. وعلى عكس المتوقع، رأيت الفيديو الخاص بي انتشر على الصفحة الرسمية للكلية، وكانت التعليقات جميعها ما هي إلا سخرية على ما حدث، أغلقت هاتفي ونظرت إلى فارس:

-أظن أن سرنا الصغير قد انتشر بسرعة الضوء.

قاطعني وهو حزين على نظرات وجهي الخائفة:

-لا تقلق يا صديقي، الأشخاص ينساقون خلف الترينـد لأيام حتى يظهر ترينـد جديد، حينها ينساق له الطلاب لانشغالهم بخصوصيات البشر، وحتى تحين تلك اللحظة، سنمكث بالمنزل نلعب البلاي ستيشن.

انتهت مريم من المكالمة، وأمسكت هاتفها للحظات جعلت

الدموع تغمر عينيها:

-لماذا لم تخبرني بما حدث؟

أردفت مبتسماً:

-ما الذي فاتني حتى أخبرك به.

لم تنطق كلمة أخرى، بل أمسكت هاتفها وأدارته لي، فكانت تقصد الفيديو المنتشر الخاص بي..

-لم أستطع إخبارك بما حدث لخوفي من تلك النظرات التائهة منكِ.

في تلك اللحظة سمعت أصوات الطبول مرة أخرى، وأغمضت عيني رغما عني، وسمعت شخصًا يتحدث:

-اخبرني بالحقيقة، لمَ الموت؟

رأيت نفسي واقفاً على ضفاف النيل، وأمامي شخص يرتدي عباءة سوداء تغطي جسده بالكامل عدا عينه، وعندما علم أنني أراه، ارتعب وطلب مني أن لا أقتله، ضحكت على كلماته بتلك اللحظة، ثم قُلت:

-ولمَ القتل يا صديقي؟

قاطع كلماتي بنبرة خوف:

-لأنها سمات البشر.

شعرت بالخوف من كلماته، وتراجعت بضع خطوات للخلف، حتى تحول الشخص الواقف أمامي من شخص مسالم،

إلى قاتل متسلسل يحاول قتلي، أفقت مرة أخرى وأنا على سريري، وفارس يجلس جانبي، يساعدني بالنهوض، ويروي لي ما حدث عندما أغمى عليّ ونقلني هنا عن طريق سيارتي، وقبل أن يرحل طلب مني الراحة، وودعني حتى يعود إلى منزله ليرتاح قليلا، وبعد ما غادر استمررت في التفكير بذلك الشخص الذي أراه دوماً عند ضفاف النيل يحاول قتلي.

تذكرت بتلك اللحظة مريم وما حدث داخل الحرم الجامعي منذ ساعات، فأمسكت هاتفي كي اتصل بها، ولحسن حظي وجدت هاتفي يرن، والمتصل مريم:

-اتصلت بك العديد من المرات، قلبي كان يخفق من الخوف عليك، ماذا يحدث معك؟! إن لم تكن صديقي المقرب، لكنت علمت بأن شيطان يستحوذ على جسدك!!

تلك الكلمات انفجرت في وجهي عندما مررت إصبعي لقبول المكالمة، وعلى الرغم أن بعض الكلمات التي قالتها مريم صحيحة، لكنني لم اتأكد مما يحدث لي.. عن أي استحواذ يمتلكني، وعن أي كائن يقبض روحي ويتلاعب بأفكاري، حينها أكملت مريم حديثها وهي غاضبة:

-إنني أسمع اضطراب أنفاسك جيداً، لمَ السكوت أمير، أخبرني بالحقيقة، أعلم جيداً بأنني بئر أسرارك، والوحيدة القادرة على مساعدتك.

-ابتعدي عني.

تفوهت بتلك الكلمات بتلقائية شديدة دون تفكير، وتوقعت

إغلاقها المكالمة لما بدر مني من سلوك بغيض، على الرغم من أنها الفتاة التي لطالما حلمت بالتحدث معها، فردت على كلماتي بهدوء شديد:

-إن كنت تخاف عليّ من انطفاء شغفي تجاهك، أنت مخطئ.. سنعبر تلك النقمة، وسنعود لتنفيذ كل مخططاتنا المخبولة سويًا.

أكملت حديثها بصوت حزين، شعرت منه بدموع تسيل من أعينها الملائكية:

-حبي لك لم يكن وليد اليوم، أو الأمس، بل هو وليد اللحظة الأولى التي نظرت فيها لأعينك، وعلمت بحبك لي دليلاً على نظراتك الطاهرة، تلك الأعين لن تكرهني إن لم يكن خيراً لي.

قاطعتها بصوت حزين:

-صدقتي.

ردت على تلك الكلمة القاسية بضحكة حزينة:

-إذًا فلتعلم أن الفتاة التي تحدثك الآن، تعلم جيداً الأمور الجيدة بحياتها، والأمور السيئة.. إذًا فلنعبر تلك المحنة معًا.

في تلك اللحظة سمعت صوت ذبذبة آتية من هاتفي، فكان هناك شخص يتصل بي يريد قطع تلك اللحظة الرومانسية، وكان المتصل فارس، أخبرت مريم بأن فارس يتصل بي الآن، فودعتني، بينما أنا مررت زر الرد، في البداية لم أسمع صوت فارس بالمكالمة، بل سمعت صوت طبول قشعر بدني:

-إنه هنا يا أمير، يحاول قتلي.. أرجوك انقذني يا أخي، الصوت يقتلني.

لم يكمل فارس حديثه وانقطع الخط، فبدلت ملابسي مسرعًا، والتقطت مفاتيح سيارتي، وقدت السيارة كالمجنون، حتى وصلت أسفل منزله، وصعدت أعلى الدرج، تحديدا الدور الخامس.. وجدت الباب مفتوح، وآثار دماء سوداء أعلى الأرضية أمامي، سمعت حينها صوت فارس وهو يختنق ويلفظ أنفاسه الأخيرة باسمي:

-أمير، انقذني يا أمير.

تسارعت قدماي حتى وصلت الصالة، موضع وقوف الكائن المرعب وهو يخنق فارس، وبعدما لفظ الثاني رمقه الأخير، رمى الأول جثته أرضاً، فشعرت بفزعة الموت من ذلك الكيان الواقف أمامي، والذي يحاول تشتيت أفكاري عن طريق كلماته الملعونة، فاقترب مني ليحدثني بخبث:

-قد حذرته كثيرًا وأخبرته ألا يساعدك، لكنه أصر على فعلته.

صرخت في وجهه وأنا مصدوم من رؤية جثة صديقي المقرب وهي أمامي:

-من أنت؟ ومن ذلك الشخص الذي يحاول قتلي يومياً على ضفاف النيل؟! لمَ تحاولون قتلي؟!

تغيرت ملامح وجهه إلى وجه مجون، وقال بطريقة صلبة:

-إن ابتعدت عن فك أسد جائع، سترجع إلى بيتك سالماً،

وإن ظهرت لك علامات حرب منتهية ابتعد عنها، تعيش الباقي من عمرك سعيد.

-ماذا تقصد بكلماتك الشيطانية؟

لم يُجبني على سؤالي، واقترب من أذني ليهمس همسات جعلتني أشعر بالخوف الشديد، فسمعت صوت الطبول المرعب يقرع في أذني مرة أخرى، وبينما أنا أشعر بتوجس من الصوت، أكمل الكائن الواقف أمامي حديثه بنبرة صوت خبيثة:

-أقصد بأن موت صديقك ما هو إلا نقطة وسط محيط من الدماء سيضرب العالم قريبًا.

توقف صوت الطبول، واختفى الكائن من أمامي، فألقيت نظرة على فارس، ووجدت الأرضية نظيفة تماماً، والحياة قد عادت لفارس مرة أخرى:

-أمير، أنقذني .

تلك كانت الكلمات الأولى التي نطقها فارس عندما أفاق، فاقتربت منه كي أطمئن على صحته، فأخبرني أنه كان يحلم بوجود كيان مظلم ليس له إلا أعين تلمع تميزه، كان يحاول قتله، وقد نجح بذلك ليجد نفسه وسط شوك كثير يلتهمه، وأصوات أشخاص غيره يصرخون ويطلبون العون، فطافت حولهم طيور سوداء تحاول اقتلاع أعينهم، ونجح أحد الطيور باقتلاع إحدى أعينه، وانتهى الوضع بالتهام الشوك له، فوجد عينيه المتآكلة ينبض فيها قلبه، إلى أن قام بفتح عينه

الأخرى، ورآني واقفًا أراقبه بصمت شديد، جعله يشعر بنوبة من خوف ظهرت عليه بتلك اللحظة، عندما سمعنا أصوات طبول عالية، جعلته يضع يده على أذنه وهو يصرخ بصوت عالٍ:

-ذلك الصوت يقتلني، إنه صوته الملعون، سوف يأتي الآن ويحاول قتلي وقتلك.. اهرب من هنا، إنه على وصول.

امسكته بصعوبة شديدة، وحاولت تهدئته:

-تلك أصوات طبول الفرح، اهدأ يا صديقي.. أحد جيرانك سيتزوج.

صدقت كلماتي معه، وقبل أن أتفوه بشيء آخر طلب مني الرحيل عن ذلك البيت الملعون، فعرضت عليه أن يمكث معي في منزلي، فوافق على عرضي معقباً عليه بشكري.

الفصل الثالث (أريس)

سمعت صوت خطوات أقدام خارج الغرفة، وشعرت بشدة حرارة المكان ترتفع، إلى أن رأيت طيفًا لشخص متوسط القامة يقتحم خلوتي، فظهرت حلقة من النار بالداخل جعلتني أترك موضعي خائفًا، منها علمت ماهية الشخص الذي يزورني الآن، وهو صديق قديم لي ولجدي الأكبر سيراط، فكان له النصيب أن يبدأ الحديث معي:

-من الجيد أنك تعرف صوت خطوات أقدامي أريس.

عقبت على حديثه ضاحكاً:

-بل لدخولك المثير من حلقة النار المشتعلة حولنا الآن، دائمًا ما كان يعجبني أسلوبك لتخيف من حولك.

أعتقد أن كلماتي أثارته من الداخل، فلم يعطِ لها أي اهتمام يذكر، وأكمل حديثه، تحديداً وضع النقاط فوق الحروف التي أتي كي يتحدث عنها:

-أتظن أنك تستطيع تغيير الواقع؟

-لمَ لا؟

انفجرت إحدى الصخور حولي معبرة عن غضبه من كلماتي قبل أن يكمل حديثه:

-البشر ما هم إلا مشاعر مضطربة يسيروا خلف شهواتهم، من مال، سلطة.. تضحيات ليس لها قيمة، أما أفراد قبيلتي..

قبيلة نسل الوعد، يختلفون عنهم، ألم تعلمك السنوات أن تكون صلبًا من الداخل؟!

قد نسيت أن أعرفكم على زائري، وهو وليّ النعمة، وبقبضة يد منه تشابكت مشاعري، وتملكني الخوف من رؤيته أمامي مُبتسماً، فانعقد لساني، وتجمد جسدي، وبينما أنا أصارع الموت، أكمل وليّ النعمة حديثه:

-عندما ولدت على أراضي الكهف، وصرت ابنًا للكبير شمشون صاحب القلب المتحجر، قُتلت مشاعرك، واستبدلناها بحجارة مرصعة بالأحجار الكريمة، مع ذلك سأذكِرك بالماضي جيدًا.

بدأت مشاعري المتشابكة تتطاير حولي، عدا شعوري بالخوف، فطالما كنت حبيس ذلك الشعور، ولم أتحرر منه أبداً، حتى أغمضت عيني لأشاهد ما حدث بالماضي مرة أخرى، أبي شمشون كان يقف على ضفاف النيل مع صديقه يامن، يضعون سحرهم الملعون ليمتزج مع مياه النهر، حينها سمعت صوت انفجار ضئيل يأتي من يسار والدي، وهو يظهر عليه الصدمة الشديدة مما يرى، فوقع أرضاً أمامي نتيجة طلق ناري من أحد أفراد بني البشر، فمات أبي فور اختراق الرصاصة المعدنية جسده، كما يقولون عنها البشر، بتلك اللحظة أرخى وليّ النعمة قبضته عن مشاعري، وارتخت أعصابي مرة أخرى، حتى همس في أذني همساته المريحة للجسد، والمرخية للأعصاب:

-من الواجب أن تعلم بأن الأرض ستكون من نصيبك أنت وعشيرتك، كي تعيشوا ما فاتكم من سنوات أفسدها الطوفان، لا تقاومني أريس، ساعدني لبلوغ الوعد، حتى أريح عظامكم من نوم الصخور، وتعيشوا أخيرًا أسفل شمس حقيقية تعافي أجسادكم من رطوبة الكهف.

-لمَ تستخدمني كبيدق؟!.. ألا تستطيع فعل تلك الأشياء دون مساعدتي ومساعدة شعبي؟

كان ردي عليه قاسيًا بعض الشيء، فصمت دون أن يتفوه بكلمة واحدة، وقبض يده ليطفئ حلقة النار المشتعلة حولنا، فقاطعته قبل أن يتحدث:

-أخبرني بالسبب الحقيقي وراء إنقاذك لنا؟

أجابني بهدوء شديد:

-أنقذتكم منذ آلاف السنين من قبضة الموت، عن طريق سحري الذي تعلمته وحيداً في خلوتي، ومن الجيد أنك قُلت السبب وراء إنقاذكم، لتعرف جيداً أنني قد أنقذتك، وأنك على علم ويقين بأنني ولي نعمتك، ومن الممكن أن أفسد ما فعلته، تذكر كلماتي جيداً أريس، إن لم تنفذ الخطة سأقبض روحك من ذلك الجسد الضعيف.

-لم تجبني عن سؤالي بعد.

لم ينتظر كثيرًا، وقبض يديه بقوة حتى تجمد جسدي تماماً، وتغيرت ملامح وجهه إلى ملامح قاسية، حينها طلبت

منه العون كي يرخي يديه، لكنه قبض يديه بقوة أكبر وهو يضحك على ألمي، فصرخت بصوت عالٍ:

-أرجوك أفلتني، أمن أحد يسمعني؟.. لورين أنتِ هنا؟

على عكس توقعي قبل أن تنكسر عظامي أفلت وليّ النعمة قبضته، وعندما فتحت عينيّ مرة أخرى وجدت نفسي نائمًا على فراشي الحجري، وهناك أصوات أقدام آتية تجاهي، فكانت إيما أختي آتية كي تتحدث معي بعد غفوتي القصيرة، فجلست إيما أعلى صخرة بزاوية غرفتي، وكان يظهر عليها الغضب الشديد، حاولت امتصاص غضبها عن طريق بعض الكلمات القريبة إلى قلبها على وجه الخصوص وقُلت:

-إنني أرى فتاتي الصغيرة ذات الوجه البشوش غاضبة من شيء مجهول، ألي أن أعرف سبب غضبك؟

أجابت عن كلماتي برياء:

-أنت تعلم جيداً أن فتاتك المدللة تكون لورين، فتاة ذات قوام متناسق، فهي امرأة زاهية أخذت نصيب فتيات الكهف من الجمال، حتى أنا لم تترك لي إلا جسد نحيف، يجعلني تحت ضغط كبير مع أوسر قبل الترابط لأزيد من وزني، كي يستطيع مداعبتي ليلاً.

أغضبتني كلماتها الجريئة، وكان ردي الصمت، مما يعني عدم تقبلي الحديث، وطلبت منها الخروج من غرفتي، فعقبت على تعبيرات وجهي الصارمة:

-أريد حقي، فمن الواجب أن تعطيني نصيبي من الإشراف على أمور الكهف في غيابك.

قُمت من موضعي، واقتربت منها كي أعرف السبب وراء طلبها:

-أنيرِي بصيرتي وأخبريني الهدف وراء حديثك الملون؟

-حقي، نصيبي من الإشراف على الكهف، أستمنعني عن حقي حتى تبقى حبيبتك سعيدة بالانتصار عليّ في كل شيء؟!

-أنتِ تعلمين جيداً أنني لن أضع حاجزًا بينك وبين حقوقك داخل الكهف، على الرغم من ذلك أنا لا أفهم السبب وراء التمسك بمباشرة بعض الأعمال الروتينية، وإن لم تخونني ذاكرتي فأنتِ من تنازلتِ عنها لأسبابك الخاصة.

-لم أتنازل عنها، بل أرحت بالي منها حتى تأتي اللحظة المناسبة لأباشر أعمالي، أنت تعلم جيداً أن النهاية اقتربت.

-لا تعجبني طريقتك في التعامل مع الأشياء إيما، حفل ارتباطك قد اقترب، ضعي تركيزك على سعادتك أنتِ وأوسر، هو يحبك.

-بل يحبك أنت، أما أنا مُجرد بيدق يتلاعب به حتى يؤكد ولاءه وصداقته لك، لذلك أخرجني عن حياتك أنت وصديقك، فأنا لا أريده، بل أريد سلطتي، ومباشرة أعمالي.

كادت كلماتها تجعلني أصفعها على وجهها، لكنني تداركت

الموقف، وتذكرت أبي ووصايته عن إيما بأن أجعلها سعيدة:

-حفلك قد اقترب، ضعي كامل تركيزك على أوسر، نحن ننتظر ذلك اليوم منذ مدة كبيرة، لذلك لا تفسديها علينا.

-تقتلني كلماتك مثل سم أفعى المامبا، وتذكر بأن قرارتك لن تجعلني سعيدة، فكر جيداً أريس.

على الرغم من صدق شعورها، لكنني أعلم بأن أوسر سيجعلها سعيدة، فهو أوفى أصدقائي، والأخير داخل عائلتنا بعد مقتل أبي وأبيه سوياً، لحين موت والدتي دهساً عن طريق صخرة كبيرة داخل الكهف، ووالدته عن طريق شلل لازمها إلى الموت، وعشنا نحن الثلاثة دونًا عن الباقي من عائلة سيراط.

قاطعتني إيما بنظرة مليئة بالأمل:

-أنت تصدقني صحيح؟.. إذًا افعل ما يريده قلبي.

اقتربت منها، واحتضنتها وأنا أقول:

-لا بد أن تعيشي الباقي من عمرك وأنتِ تريحي رأسك، سيكون حفل ارتباطك مع أوسر لن ينسى صدقيني، أحبك.

شعرت ببعض قطرات المياه الساخنة على كتفي، لترد إيما على كلماتي وهي تبكي:

-لن تفهمني، ولن تفهم شعوري، لكنك أخي الأكبر وسأنفذ أوامرك، حتى وإن كانت ستقتل الشيء الحي داخل جسدي، وهو قلبي.. سأغادر الآن، لورين على وصول.

دنت لورين إلى الداخل، وقالت وهي متفاجئة:

-إيما، سعدت برؤيتك أنتِ وأريس معاً، لكنني أشعر بالفضول عن سر اجتماعكما سوياً.

أجبت عنها وأنا أبتسم:

-أنتِ تعلمين جيداً عن اقتراب حفل الارتباط.

لم أكمل حديثي، وتركتني إيما وهي غاضبة، فشعرت لورين بالإحراج الشديد وهي تسألني عن سبب غضب إيما، أخبرتها بأنها خائفة، فهي خطوة جديدة بحياتها، لترد عليّ لورين عن سبب قدومها هنا، فتعكر مزاجي نتيجة حديثها عن اقتراب النهاية المُنتظرة، وعن كيفية الخروج من الكهف بعد ما ينتهي النسل البشري، كي نخرج إلى السطح سالمين، حتى نباشر حياتنا الجديدة التي شرقت منا بالماضي... قاطعت لورين وهي في قمة حماسها:

-أنا لم أقرر بعد، الحكيم هو من يقرر كل شيء.

ضحكت على كلماتي، واقتربت مني، ونظرت إلى عيني لتثيرني حتى تشعل الحديث بيننا، لكنني استطعت تمالك نفسي، وأكملت حديثي بهدوء:

-جاءت اللحظة التي سأقرر فيها مصير شعبي، فقد نسيت أنني الكبير وسط تلك السيطرة المفرطة من الحكيم، دعيني أشعر لمرة واحدة أنني صاحب سلطة حقيقية.

ابتعدت عني العديد من الخطوات، وجلست على صخرة

بزاوية الغرفة، وردت على حديثي وهي غاضبة:

-أنت تعلم جيداً أننا ننتظر تلك اللحظة مُنذ القدم، إن كنت تكره الحكيم لن أمنعك، وإن وجدت طريقة لقتله وأنت مُقدم عليها سأساعدك.

حاولت تشتيت حديثها الملوث، لكنها أكملت بصرامة شديدة:

-لكن إن كانت تلك الألاعيب الشيطانية ستكون سببًا بمقتل عشيرتي، وإفساد ما خُطط له، حينها سأقف في طريقك وأمنعك.

-إن لم نستمع لأوامر الحكيم قديمًا، كنا....

قامت من موضعها، وقالت بحزم قبل أن أكمل حديثي:

-كنا سنغرق على السطح، قبل أن ينقذنا وليّ النعمة.

-من المُتضح أمامي أن الحديث بيننا لن يجدي، حتى وإن استمر لإشعاع يوم آخر.

-لذلك سأتركك الآن حتى تستعد لحفل ترابط حبيبتك الصغيرة إيما، فمن الممكن أن تنسى موعد الحفل كعادتك.

-لن أنسى، اذهبي أنتِ الآن، سأريح جسدي قليلا قبل أن أذهب إلى المعبد.

تركتني لورين أريح جسدي، لكنني لم أرِح رأسي، بل أفرطت في التفكير كعادتي مُنذ الصغر، فدائماً كنت أشعر

بالوحدة نتيجة ابتعاد أختي عني لانشغالها، وأنزعج من قرارات الحكيم الواجب تنفيذها دون الرجوع إليّ، وخوفي الدائم من وليّ النعمة صاحب السمو، والقدرات السحرية القادرة على قتل الآلاف من العشائر مثل عشيرتنا، رغم ذلك لم أنسَ المعروف الذي قدمه إليّ جدي الأكبر سيراط، والهدية الحية التي نعيش فيها حتى الآن، وهي كهف مضاد للماء والزلازل، وأي شيء يحدث خارج أرض الكهف. بتلك اللحظة تذكرت آمال أبي شمشون في العيش على سطح الأرض، نتيجة ما يراه أعلى السطح في كل مرة نخرج فيها لنشر الخراب بين بني البشر الملوثين.

شعرت بالتعب من التفكير، وأغمضت عينيّ كي أريحهما قليلاً، وعندما فتحت عينيّ مرة أخرى، سمعت صوت أحد الحراس أتى يوقظني من غفوتي القصيرة، أمرته بالذهاب عندما أفقت، وارتديت الروب الحريري، واتجهت إلى معبد الحكيم وأنا سعيد، لكنني تذكرت ما سيحدث هناك من كلمات الحكيم الملونة، وطريقته الخبيثة في إدارة الحوار بيننا حتى يُعكر مزاجي، وبالنهاية يفوز كعادته بالحوار.

في تلك اللحظة شعرت بأن رأسي تؤلمني ككل مرة تأتيني فيها رؤية، فرأيت أختي إيما وهي عارية تمسك في يديها روبها الحريري لترتديه وهي حزينة، وتنظر لانعكاس إحدى الصخور في البيت البلوري:

-إن قدرت على قتلك أريس، وفصل رأسك عن جسدك سأفعلها كما تفعل بي الآن.

كانت تلك كلمات حبيبتي الصغيرة إيما وهي تريد قتلي، ومن شدة الرؤية أمسكت رقبتي لأطمئن على سلامتي، ونتج عن ذلك شعور بأنني غير مرغوب فيه داخل أراضي الكهف، لكنني اعتدت على المقاومة، وإن كانت رقبتي في سبيل سعادة أختي وحبيبتي الصغيرة إيما لن أحزن..

-لكنها لن تعيش إن خالفت أوامري أريس.

التفت وأنا خائف من الصوت، فلم أرَ المتكلم، على الرغم من معرفتي صوته، فهو الحكيم.. يحاول قراءة أفكاري كعادته، وكعادتي أحاول المقاومة لأفوز في النهاية، فكانت تلك القدرة الوحيدة التي حسدني عليها الحكيم، على الرغم من ذلك كنت أعطيه الأفكار التي أريده أن يعرفها، فهو يعرف جيدًا أنني لن أستسلم، ولن أرفع رايتي البيضاء مبكراً، ويعرف أن المنتصر بالنهاية ولي النعمة وأتباعه على رأسهم هو.. الحكيم.

-لمَ الحزن أريس؟ ألا تريد أن تجلس معي قليلاً قبل بدء المحفل؟

من طريقته علمت بأنه يريد التحدث معي في أمر عاجل، ولم أستبعد بأنه من أرسل لي فردًا من الحرس كي يوقظني، فقمت بالرد عليه وأنا مبتسم:

-ولمَ لا أيها الحكيم؟! لنتحدث.

تكلم في تلك اللحظة بطريقة مريحة وقال:

-أظن أنك تراجعت عن ما يجري داخل رأسك.

قُمت بالرد عليه على الرغم من أنني أعرف بتوابع ذلك الرد، وهو غضبه الشديد:

-ولمَ التراجع إن كان ما أفكر فيه هو القرار الصحيح؟!

على عكس توقعي لم يغضب الحكيم مني، بل أكمل حديثه بهدوء:

-لن أغضب من كلماتك كما تعلم، بل سأحزن عليك وعلى ما سيحدث من عائلتك الصغيرة، قبل أن يقتلك أفراد قبيلتك إن علموا بأنك تريد إفساد المُخطط.

-اللعنة عليك أنت والمُخطط، هناك مُخطط أفضل يجرى داخل رأسي، منه سأخرج شعبي من هنا سالماً، دون خدش واحد.

-إذن أنِر بصيرتي وأخبرني خطتك، وإن كانت الأفضل سأساعدك فيها.

-لا أريد المساعدة من تابع لعين.

يتملك الغضب الحكيم، ويرمي آخر أوراقه التي يحتفظ بها في جعبته:

-اعلم جيداً أن ذلك الحديث الساري بيننا سيكون الأخير عن المُخطط، وإن عصيت أوامري لن أتردد لحظة واحدة في قتلك.

أردفت ضاحكاً:

-إنني لا أرى داخل المعبد إلا صخرة يبرز منها بلورة مضيئة تُهددني بالقتل.

-تلك الصخرة التي تكلمها تحتوي على سحر خطير، فهو الأخطر... منه سأقتلك أنت وأعدائي، وكل مَن يريدون إفساد المُخطط.

-ومَن هو الشخص الذي يريد أن يعادي صخرة.

-قد علمت من البداية أنك مُختل عقلياً لما أنت مُقدم عليه، لكنني عند وعدي، ذلك سيكون التحذير الأخير، فأنا عادل في قراراتي.. والآن استمتع بحفل الترابط، فقد وصلت عائلتك.

في تلك اللحظة دخل أوسر وهو يمسك يد إيما، من بعدها دخلت لورين وهي مبتسمة، وتظهر عليها السعادة، إنما إيما فكانت خائفة، وتركت يد أوسر، وركضت نحوي لتحتضنني وهي تهمس في أذني وتقول:

-لن أستطيع قتل أخي، لكن مع الوقت ستعلم بأنك ذبحت أختك حية.

ظهر على وجهي التوتر من صدمة ما سمعت، وأوسر قد لاحظ تعبيرات وجهي، فأردف وهو متسائل:

-ماذا دهاك يا صديقي، دع نظرات التوتر تلك إلى إيما.

تركتني إيما، من ثم التفتت إلى أوسر، وردت عليه:

-ولمَ التوتر إن كان حبيبي هو أوسر الذي سأكمل معه حياتي، وأنا مرتبطة به عن طريق رابط النعمة الشهير؟

أحرج أوسر من حديث إيما، لكنه سرعان ما تدارك الموقف، واقترب منها حتى يحتضنها:

-أنتِ حبيبتي الصغيرة، أحبك.

قاطعته لورين وقالت:

-عندما تصلا إلى البيت البلوري، افعلا ما شئتما، إنما الآن اجعلاها لحظة عائلية سعيدة نعيشها معاً، قليلًا ما نتقابل سوياً.

ضحكت إيما على كلماتها وقالت:

-إذن اخرجي من المعبد حتى نعيش اللحظة.

انفعلت على إيما وعلى غطرستها:

-لعنة وليّ النعمة على حديثك أيتها الفتاة الصغيرة.

اسكتتني لورين قبل أن تخرج من المعبد وقالت:

-هي على حق، سأخرج حتى تنتهي المراسم.. استمتعوا.

شعرت إيما بالنصر، أما أنا فكنت خجلاً مما حدث، وطلبت من لورين عدة مرات البقاء، لكنها فضلت الخروج لحين انتهاء المراسم، فاختتم الحكيم الموقف وقال:

-أرى أنكم قد تعاركتم معاً.

أجاب أوسر:

-ابدأ المراسم أيها الحكيم، لننهيها قبل أن يهدأ نور البلورة.

-لك ما تريد، تمركزا أمامي كما تعرفان.

بدأت مراسم الارتباط بينهما، وتمركز أوسر وإيما أمام الحكيم، وانفتحت أحشاؤه الحجرية، وطلب منهما أن يدخلا رأسهما داخل أحشائه الصخرية، ويقبلا بعضهما ليتم ترابطهما وهو يقول:

-لا تغضبا ولي نعمتكما، فهو المُنقذ لكما في الأزمات.

تزايد ضوء البلورة كالعادة عند الترابط، وأصوات أفراد القبيلة تعالت ليشهدوا على الحدث، فكان حفل الترابط يقتصر على أفراد عائلة الكبير، ومن هنا يأتي الفرح الذي لا يتكرر كثيراً داخل كهفنا، إنما مؤسس الحفل الأول هو جدي الكبير سمنار، كي يفرح أفراد عشيرتنا في ظل الظروف الصعبة التي كانوا يمرون بها في تلك الحقبة من الزمن، نتيجة لصعوبة الحياة داخل الكهف، من أكل الحشرات إلى نوم غير مريح، غير أنهم يشعرون بالعري، نتيجة عدم وجود حيوانات ليقتلوها، ويغطوا أجسادهم بجلودها.

نعود مرة أخرى إلى إيما وأوسر عندما أخرجا رأسهما من أحشاء الحكيم، وفي تلك اللحظة دخلت لورين المعبد، وأخبرتني بأنها أعطت راحة لجميع أفراد عشيرتنا بمناسبة الحفل، فطلبت من إيما وأوسر الذهاب إلى البيت البلوري كي يقضيا معاً ليلة سعيدة، بينما أنا سأعود إلى قصري الصخري

حتى أرتاح قليلاً من التفكير.

الفصل الرابع (أمير الراوي)

تلقيت مكالمة من حبيبتي مريم، فكانت تريد الاطمئنان عليّ بعدما أغلقت المكالمة بشكل مفاجئ، نتيجة لاتصال فارس وطلبه المساعدة، في النهاية تفهمت مريم الموقف، لكنها لم تكن مطمئنة لما يحدث حولها، فتركت الهاتف من يدي قبل أن أخبرها بالحقيقة، بينما فارس وافق على عرضي بالذهاب إلى منزلي كي يمكث معي بعض الأيام، وقبل أن نتحرك طلب مني إخبار مريم بالحقيقة:

-أخبرها بالحقيقة.. أنت تعلم جيداً أنها ستعرف لا محال من ذلك، مريم فتاة ذكية.

أخذت نفسًا عميقًا، وأمسكت هاتفي، وأجبت عليها عندما قالت:

-أتسمعني أمير؟

-أسمعك، لكنني لست بخير، ومن المُتضح أن الفترة القادمة لن تكون سعيدة.

دون أن ترجع لي، وتستشيرني.. أخبرتني بأننا سنتقابل في مقهى (المصريين) الآن، في البداية رفضت كي لا أخبرها بالحقيقة كاملة، لكن في النهاية وافقت، فكانت كلماتها قبل أن أغلق المكالمة ذات تأثير.

أخبرت فارس بأن يأخذ ما يريده حتى يمكث معي الأيام القادمة، وعندما انتهى من تحضير حقائبه وضعناها داخل

حقيبة السيارة، وتحركنا إلى مريم، لكنني شعرت بصداع شديد، فكنت أرى ذلك الكائن المرعب عن طريق مرآة السيارة، وهو مبتسم ابتسامة مبهمة أشعر بها، وأصوات الطبول بدأت في التعالي حتى ضغطت على فرامل السيارة، وأمسكت أذني وأنا أشعر بصداع شديد جعلني أفقد وعيّ، أفقت مرة أخرى وأنا أسمع أصوات أقدام أحد الأشخاص، وشخص آخر يحدثني ويطلب مني الإفاقة، علمت هوية المتكلم من رقة صوته وهو يقول:

-أمير، أفق أرجوك.

كانت حبيبتي مريم هي من تحدثني، وعندما أفقت وجدت نفسي جالسًا على كرسي غير مريح بالمرة، والعديد من الأشخاص يقفون حولي ممسكين كاميرات ليلتقطوا بعض الصور، التي سيضعونها على مواقع التواصل الاجتماعي، ويجنون منها بعض التفاعل، وبالرغم من غضبي الشديد، لكنني لم أعطِ أي اهتمام، بل نظرت إلى حبيبتي مريم، وطلبت منها الجلوس على منضدة أخرى، دون تطفل من هؤلاء البشر المزعجين، وها هم قد شعروا بالإحراج من كلماتي الصريحة، وذهبوا بعيداً عن المنضدة الخاصة بنا، وفارس أعطاني زجاجة مياه حتى أشرب البعض منها، بينما مريم طلبت مني الراحة، ونظرت إلى فارس حتى يخبرها بما حدث داخل السيارة، والسبب وراء إغمائي بالقرب من هنا:

-قد ظهر لي مرة أخرى، لكنني لا أعرف السبب وراء إغمائي، من الممكن أن تكون الطبول هي السبب، فهي تجعلني أشعر

بالصداع، وفي بعض الأحيان أشعر بالغثيان، ومنه أشعر بالخوف من ماضي قد حدث لي لن أنساه في يوم من الأيام.

عندما انتهيت من روي ما حدث، كانت مريم مصدومة، وشعرت بأنني أعيش حياة ليست طبيعية، وأرى أشياء لا يراها بشري، لكن فارس استطاع أن يفسد حسها الإخباري، وأخبرها بما يرى، فلم ترد عليه مريم، وأخذت الصمت وسيلة لمعرفة باقي القصة، دون أن تسأل سؤالًا واحدًا، بينما فارس كان ينظر لي بتوتر، فكان يريد إخباري بشيء ما، لكنه خاف من ردة فعلي، وفي النهاية صارحني بخوفه الشديد من ذلك الكائن الذي يظهر له، ويخاف أن يقتله إن استمر في مساعدتي، لكنه لم ينهِ حديثه بتلك الكلمات القاسية، وأخبرني بأنه سيبقى جانبي حتى وإن قتل على يد كائنات مجهولة المصدر، فتدخلت مريم في الحديث وهي مستاءة:

-لا أستطيع أن أصدق ما أسمعه، فهو يشبه الأفلام بعض الشيء، لكنني سأبقى جانبك في تلك المغامرة، ولا تخفي عني مثل تلك الأشياء مرة أخرى، أتفهم؟!

-كنت أخاف من عدم تصديقك لي، وإن كان من الطبيعي حدوث ذلك.

على الرغم من علمي أنها خائفة، لكنها ضحكت عليّ وهي تقول:

-لن أنكر أنني لم أصدق في البداية، لكنني أتعامل مع شخص عاقل أمامي، فكيف أن تكون بعاقل، وأنت تتفوه

بالقصص الجنونية؟!

-لكنني أخاف عليكِ من الموت.

-لا تقلق عليّ، إنني جاهزة لهم.. متابعتي للأفلام تجعلني أعرف نقاط ضعفهم.

استمر الضحك بيننا، وفارس كان صامتاً لا يتكلم، كان يفكر في شيء ما، لكنني لم أسأله عنه، بل انتظرت حتى نعود إلى منزلي لنتحدث، ودار الحديث بيني وبين مريم على مقدرتي لتجاوز تلك المحنة عندما أخبرتني بالحل:

-إنني أعرف الحل، وإن لم يكن بحل صريح، فهو شيء سيساعدنا للوصول إلى الحقيقة.

-وما هو؟

-عندما أتأكد منه سأخبرك بكل شيء، وحتى تأتي تلك اللحظة كن قوياً، أنا لن أتركك أبدًا، قربك من الأشخاص الذين يحبونك سيجعلك أقوى من أي وقت مضى.

-صدقتِ، دائماً ما تكوني على حق، لكن ما أعلمه جيدًا أنني سأظل أقوى بقربك مني.

مسكت يديّ واخبرتني بأنها لن تتركني، وفي نهاية الحديث بيننا رحلنا، وركبنا سيارتي حتى أوصلت مريم إلى منزلها، وعدت مع فارس إلى منزلي، وجلست على الأريكة، وكعادة فارس عندما يزور منزلي، تحدث عن مَن تفنن في اختيار ديكور المنزل، والطريقة التي استخدمها في ترتيب الأشياء

حتى أصبحت مذهلة، فكان ذلك الشخص المُرتب هو أمي ذات الذوق الرفيع، والقلب الحنون، عندما توفيت هي وأبي انكسر قلبي، وظننت أنني قد سلكت المنعطف الأخير في حياتي، والموت قد اقترب مني أكثر من أي وقت مضى، وفي نهاية الطريق ظهرت مريم في حياتي، وأغرمت بها، فهي فتاة رقيقة، ذات وجه ملائكي، قلب نقي، وإن كانت أمينة ألف مرة فالمرة منها بألف.

كعادتي هطلت الدموع من عيني، وفارس طلب مني أن أهدأ، وأشعل جهاز البلاي ستيشن الخاص بي.. بلاي ستيشن إكس الجديد، وأعطاني جهاز التحكم خاصتي، ووضع أسطوانة لعبة فيفا (٣٠)، اخترت كالعادة فريقي المُفضل برشلونة، وهو قد اختار ريال مدريد، حتى نشعل المباراة بيننا بكلاسيكو ناري انتهى بفوز فارس عليّ كالعادة في الدقائق الأخيرة، مما جعلني أترك جهاز التحكم جانبي، وأقوم حتى أحتسي بعض الماء، لكنني شعرت بصداع شديد، جعلني أصرخ من شدة الألم، بينما فارس لم يسمعني لانشغاله باللعب، أما أنا فقد سبحت داخل ذكرياتي، حتى رأيته.. رأيت ذلك الشخص الذي يقتحم أفكاري مُنذ المرة الأولى التي قابلته فيها على ضفاف النيل، وهو يحاول قتلي، لكنني نجحت في الهروب كالعادة، عندما قفزت في مجرى النيل.

في تلك اللحظة تذكرت أنني لا أستطيع السباحة، فحاولت التجديف للخارج، لكنني لم أقدر على الخروج، وفقدت الوعي تدريجياً، حتى أفقت مرة أخرى وأنا تائه وسط صحراء

واسعة، لا أرى فيها إلا الرمال، فعلمت أن الموت سيكون حليفي، إن لم أكن قد مت بالفعل، وعلى الرغم من ذلك أكملت طريقي، ودون قصدي وقعت داخل حفرة عميقة، فارتطمت رأسي بإحدى الصخور، مما أدى إلى فقداني الوعي مرة أخرى، وعندما أفقت تلك المرة شعرت ببعض الأشياء التي تتحرك على جسدي، من الخوف فتحت عينيّ، ووجدت عقرب صحراوي يتمشى أعلى جسدي، ارتعبت مما أشاهد أمامي، وأزلت العقرب من أعلى جسدي، فكان أسرع مني وقام بلدغي، وعلى الرغم من ذلك اتكأت على قدميّ بسهولة لضعف السم، ومَن أكد لي أنني بكامل وعيّ، شخص ظهر أمامي، كان يرتدي عباءة سوداء مرسوم عليها الكثير من الكلمات غير المفهومة، وسرعان ما تحولت إلى كلمات أفهمها جيدًا، فاستطعت قراءتها، كانوا خمسة كلمات (الموت، المرض، القتل) وداخلهم كلمتين مميزتين باللون الأحمر الداكن (وليّ النعمة).. لم أفهم المقصود منهم، حتى تكلم الشخص الواقف أمامي:

-انتظرتك العديد من الأعوام كي تُخرج روحي المدفونة هنا، لكنك تأخرت.. أعني أنهم قد تأخروا في تنفيذ المُخطط، والآن أنت الوحيد القادر على إنقاذ بني جنسك، وهناك من سيساعدك.

-مَن أنت؟.. ومن مَن سأنقذ بني جنسي.

وضع الشخص الواقف أمامي يده على رقبته، فكان يشعر بالاختناق، وأكمل حديثه وهو يحتضر:

-لم يتبقَ لي الكثير من الوقت، فهو أقوى مني نتيجة ارتكابي الكثير من الأخطاء، بينما أنت أقوى منه، ولم ترتكب ما يجعلك ضمن دائرته المظلمة.

في تلك اللحظة رأيته يحترق أمامي، وظهر شخص آخر يشبه البشر، كان جسده يميل إلى الحُمرة، وعيناه كانت تشبه أعين الذئاب، بينما رأسه فكانت تشبه رأس بشري، وأرجله كانت تحتوي على ثلاث أصابع فقط، حتى يداه الاثنتان لم تحتوِ إلا على أربعة أصبع، فكان جسده قويًا، مفتول العضلات، وينتظر الانقضاض عليّ حتى يقتلني، لكنه لم يفعل ذلك، بل تفوه ببعض الكلمات التحذيرية، وقال لي بمكر شديد:

-إن استمررت فيما تفعل، ستموت، وقبل موتك.. سأضع جسدك على القليل من الفحم المُشتعل، وأطهيك على نيران هادئة، وأنا أسمع صوت صراخك وهو يطربني، ويطرب أذنيّ، فهي تحتاج إلى ذلك.

تراجعت بضع خطوات للخلف، وحاولت الهروب، فتذكرت وجودي داخل حفرة عميقة في باطن الأرض، وشعرت بأن جسدي بدا هزيلاً، وكنت أترنح يمينًا ويسارًا، نتيجة سم العقرب الذي يجري في عروقي، لكنني لم أحزن على موتي في تلك اللحظة، فكان ما ينتظرني أسوأ بكثير من الموت عن طريق سم عقرب ملعون، وبالفعل سقطت أرضاً وأنا أرى ذلك الشخص واقفًا أمامي وهو ينظر لي بغضب شديد، حتى

فقدت الوعي وسبحت داخل عقلي، وأخيراً وجدت نفسي في المنزل وفارس صديقي يقف جانبي وهو يحاول إفاقتي، وعندما أفقت رويت له كل ما حدث، حينها اقترح عليّ أن أسافر بضعة أيام كي ابتعد عن تلك الأحلام السوداوية، فوافقت، وشعرت بشخص يطلب مني الذهاب إلى مرسى مطروح، حيث ترك لي والدي منزلًا هناك كنا نعيش فيه بالفترة الصيفية كعائلة سعيدة، وانتهت تلك العادة عندما شاء القدر أن يموتا.

قررنا أنا وفارس الذهاب إلى مرسى مطروح، وطلبت منه أن أريح ظهري قليلاً، فجسدي يؤلمني من قلة النوم، وعقلي من كثرة التفكير، نتيجة التخبطات الكثيرة التي حدثت لي الفترة الماضية، بالنهاية ساعدني فارس حتى وصلت إلى سريري، وأرحت جسدي عليه، وقبل أن يخرج طلبت منه إقفال النور، وإكمال اللعب كما يشاء، وعندما خرج فارس من الغرفة، أغلقت عينيّ، وانغمست في النوم، صحوت اليوم التالي على صوت رنة هاتفي، فكانت مريم تتصل بي، مررت أصبعي للرد، ثم قُلت:

-الساعة الآن السابعة صباحاً، وأنتِ تعلمين جيداً أنني لن أذهب إلى الجامعة.

-أنا أيضا لا أريد الذهاب، ما رأيك أن نتنزه قليلاً على الكورنيش؟.. فأنا أحمل لك بعض الأخبار السارة.

رُسمت الابتسامة على وجهي، وطلبت منها أن تجهز،

وتقابلني على كورنيش النيل.. وافقت مريم وأخبرتني بأنها جاهزة، بينما أنا خمس دقائق وانتهيت من ارتداء ملابسي، ثم التقطت مفاتيح سيارتي ونزلت إلى الشارع مُتجهًا إلى السيارة، وأخذت طريقي إلى كورنيش النيل، عشر دقائق ووصلت، ووجدت مريم واقفة وهي تنتظرني، فكان الهواء يداعب شعرها الأسود ويلوح به يمينًا ويسارًا، والابتسامة على وجهها الملائكي جعلتني أذوب كالجليد، وعندما اقتربت منها غازلتها قائلاً:

-إنني أرى فتاة جميلة تقف بمفردها، أيمكنني اصطحابك معي في جولة قصيرة وسط ذلك الهواء المُنعش؟

ابتسمت بخجل وعقبت على كلماتي وهي تضحك:

-اعذرني، أنا أنتظر فتى طائشًا تحوم حوله مجموعة من الشياطين، إن تركته سيغرق في جحيمهم.

-ولمَ الانتظار يا فتاة بعد تلك الكلمات السوداوية؟!

اقتربت مني أكثر وهي تقول:

-اشتقت إليك.

لم أستطيع ضمها، لكنني تفوهت ببعض الكلمات الدافئة:

-وأنا أيضاً، من هنا أعدكِ عندما أتخرج وانتهي من كل ما أعاني منه، سأمضي قدماً في حياتي، وسأتخذ بعض القرارات المصيرية، والقرار الأول هو الذهاب إلى منزلك، حتى أطلب يدكِ من أبيكِ وأمك.

قاطعتني مبتسمة:

-انتظرك بفارغ الصبر، وحتى تأتي تلك اللحظة بسلام، سأخبرك عن الحل الذي توصلت إليه، وهو أحد الشيوخ القادرين على إنقاذك من الجحيم الذي تعيش فيه، فقد أخذت منه موعدًا الليلة.

تراجعت عدة خطوات للخلف وقُلت:

-ولمَ نُدخل طرفًا رابعًا بيننا؟

-لأننا لا نعرف مَن نواجه، ولمَ تظهر لك تلك الأحلام السوداوية. فكيف لك بهزيمة عدو لا تعرفه؟!

اقنعني حديثها، وحمسني للتغلب على ذلك الكيان الذي يتملك عقلي:

-لكِ هذا، مَن هو الشيخ الذي سنذهب إليه؟

-الشيخ راجح، شيخ روحاني، ومن أشهرهم في الوطن العربي، تواصلت معه وعلمت منه بأنه سيمكث في مصر قليلاً، لكنني عجلت الأمور وأخذت موعدًا معه مساء اليوم.

نظرت إلى عينيها اللامعتين، ثم أمسكت يديها وطلبت منها البقاء معي للنهاية.. لم ترد عليّ، بل طلبت مني أن نتمشى قليلاً قبل أن تلتهمنا الشمس، وعندما انتهينا من جولتنا، قُمت بإيصالها إلى منزلها، وعدت أنا الآخر إلى منزلي وأنا أفكر فيما سيحدث ليلاً، حينها شعرت بشخص يتحرك حولي، وصوت خطوات أقدام بطيئة، وشيء ما كتف جسدي، وأغشى عيني،

استسلمت تماماً وأنا أطلب من الله مساعدتي، فجسدي كان يرتجف من الخوف، حتى سمعت صوت ضحكات فارس وهو يقول:

-جسدك ارتجف من الخوف يا رجل.

غضبت من طريقته الطفولية وقُلت:

-ماذا دهاك يا رجل، قلبي كان سيتوقف من الخوف.

-يا رجل، تغضب عليّ كي لا تخبرني ماذا دار بينك وبين حبيبتك الفاتنة؟

-الليلة، سنقابل الشيخ راجح.

-الشيخ راجح؟!!

-نعم، لمَ التعجب؟

-إنه أشهر شيخ في عالم الروحانيات وما وراء الطبيعة، ستأخذني معك يا صديقي، أريد أن أراه، وأرى طريقته في صرف الروح التي تسبح بداخلك.

-دائما ما تأخذ الأمور بمرح شديد، وتنسى الكارثة التي أعيش فيها.

-لا تخف يا رجل، أنا معك، وبجانبك.

-أتمنى ذلك.

-حسنا، ارتح قليلاً، وأنا مَن سأقود السيارة الليلة.

-لك ما تريد، اجلس معي لنلعب بعض البلاي ستيشن.

-ستخسر كعادتك يا صديقي.

-لنرَ..

الفصل الخامس (البيت البلوري)

داخل البيت البلوري، وبالتحديد الغرفة الرئيسية، وعلى السرير المرصع بالجواهر، جلست لورين وهي تنظر في أعين أوسر، وتبارك له على حفله المزيف مع إيما، وتقربه المميز من أريس الكبير، منه يستطيعون التلاعب بعقولهم، والقضاء عليهم بسهولة:

- سنستحوذ على القيادة داخل الكهف، كي ننفذ أوامر وليّ النعمة، حتى ننطاد بمركزنا، ونتقرب من الحكيم أكثر من أي وقت مضى، لأنه الرأس المدبر هنا، وبتلك اللحظة سنقضي على أريس وإيما نهائيًا، ونفوز بالقيادة.

أنهت لورين حديثها، وعقب عليها أوسر وهو يمسك يدها وينظر في أعينها:

-أعشق تلك الأعين الشيطانية، وتلك الرأس المليئة بالألاعيب الماكرة.

أردفت لورين وهي مبتسمة:

- لا تنكر أنني أفوز بالنهاية.

شعر أوسر بالقلق، وعقب على طريقة لورين في التعامل مع المواقف:

-بعض الأحيان أخاف منكِ ومن ألاعيبك، وخيانتك لأريس تجعلني أخاف منكِ أكثر من أي وقت مضى.

ضحِكت بسخرية وقالت:

-ومع مَن أخونه؟.. مع صديقه المقرب، وبئر أسراره.. إن كان هناك مَن سيخاف من الآخر، فهي أنا، ولورين لا تخاف، بل تأخذ حذرها.

قامت لورين واحتضنت أوسر، وقبلته وهي تطلب منه الاسترخاء، وعدم التفكير في شيء آخر غير القضاء على أريس، والتحكم في سلطة الكهف، بينما أوسر يتخوف من شيء آخر لم تعطه لورين اهتمامًا كافيًا، وهي إيما وتطلعاتها لإعادة سلطتها التي سُلبت منها، فقاطعت لورين تفكيره وقالت:

-لا تخف من إيما، هي فتاة مُختلة ومُعقدة، عندما مات والدها وأمها أصبحت في حالة نفسية يرثى لها، ومنذ تلك اللحظة وأنا أمسك زمام الأمور، وأريس حبيبي يثق فيّ وفي قدرتي على إدارة الحرس، القائمين على فرض الهدوء داخل الكهف.

عقب عليها أوسر بخبث شديد:

-حبيبك؟.. ومع مَن تجلسين الآن يا فتاة؟! أنتِ امرأة خائنة، مثلك مثل أفراد عشيرتنا الملوثين بالرذائل، التي تعودنا عليها منذ الصغر، ولولا أننا قد ولدنا داخل القفص البلوري، لكنا مثلهم وأكثر.

سكت أوسر لحظات، وأكمل حديثه:

-نعم، تذكرت بأنكِ ولدت داخل تلك الضوضاء، وتلذذتِ من كأس الفاحشة مع والدك.

استاءت لورين من ما سمعت، وببراعة شديدة استطاعت تدارك الموقف وقالت:

-لذلك لا أريد أن أتذوق من تلك الكؤوس الملوثة مرة أخرى.. أريد أن يذكر التاريخ بأنني الفتاة التي قادت نسل الوعد إلى أعلى السطح مرة أخرى.

في تلك اللحظة اقترب أوسر من لورين وهو يحتضنها، وقبلها وهو يتفوه ببعض الكلمات الدافئة، وقام بمداعبتها وهو يقول:

-إن مكث معكِ الشيطان ليلة واحدة، سيجعلك المسئولة عن جميع أعماله، كي يكرر تلك الفعلة الساخنة كل يوم.

مر الوقت وهما نائمان على السرير، حتى سمعت لورين أصواتًا لخطوات أقدام، فأخبرت أوسر بها، بينما هو طلب منها الاختباء خلف الصخرة المُرصعة بالجواهر، فدخلت إيما الغرفة وهي غاضبة:

-مع مَن كنت تتحدث؟!

شعر أوسر بالتوتر الشديد، وشل لسانه، حتى أعادت إيما سؤالها وهي غاضبة، ليغير أوسر مجرى الحديث وهو يقول:

-جمعت أغراضك من القصر الصخري؟

ردت إيما على كلماته بغضب شديد:

-نعم، وإن رأيت لورين سأبرحها ضرباً، كيف لها أن تنسى جمع أغراضي، وتجعلني أنا من أجمعها بالنهاية في ليلة حفلي.

اقترب منها أوسر، وطلب منها الهدوء:

-لا تقلقي، سنقضي ليلة سعيدة.

لم تعطه إيما أي اهتمام، بل خلعت روبها، وجلست على السرير، وطلبت منه فعل ما يشاء، فهي لا تهتم، وعندما انتهى أوسر من فعلته، نامت إيما من مجهود اليوم، فانتهز أوسر الفرصة، وأخرج لورين من البيت البلوري وهي غاضبة مما رأته، مما أدى إلى ذهابها للتنزه قليلًا كي تفكر في مخططاتها، دون أن يزعجها أريس.

(أريس)

انتهت مراسم الحفل، وذهب أوسر إلى البيت البلوري، وإيما عادت إلى القصر الصخري وحدها لجمع أغراضها، بعدما نسيت لورين جمعها، وذهبت لتباشر باقي أعمالها داخل الكهف، بينما أنا فكنت بطريقي إلى القصر الصخري، وكنت أتمشى بين البيوت الصخرية وأنا أفكر في المستقبل، وما يخفيه من حروب وضربات وليّ النعمة لتنفيذ مخططه، وبتلك المرة راودتني رؤيا عن ما حدث في الماضي على ضفاف النيل، وشخص يحاول قتلي كما قتلوا أبي سابقًا، بينما وليّ النعمة ظهر باللحظات الأخيرة وأنقذني.

وجدت نفسي ملقى على الأرض، فقُمت من موضعي وأنا أفكر في السبب وراء تلك الرؤيا، على الرغم من أني لا أتذكر ما حدث في ذلك اليوم الملعون، آخر شيء أتذكره هو رؤية الشاب وهو يراقبني من بعيد، ثم شعرت بالغثيان، وجسدي أصبح أضعف من أي وقت مضى كالرقاقة، إن لمستها ستنكسر وتصبح كالرمال التي أتمشى عليها الآن، حينها استوقفني فرد من أفراد العشيرة، وطلب مني المساعدة، لكنني لم أهتم لانشغالي بالتفكير فيما يدور داخل رأسي من رؤى:

-أتظن أنك تستطيع تغيير طبيعتك ومستقبلك؟

كلمات ذلك الفرد جعلتني أتوقف، والتفتُ له بظهري وأنا مبتسم:

-أتعرف عقاب ما تقوله؟

خرجت كلماتي من فمي دون أن أنظر لماهية الشخص الواقف خلفي، وعندما نظرت إليه كانت حالته يرثى لها، جسده ضعيف، وفاقد الكثير من الوزن، ذلك لم يفاجئني لأن حالته تشبه الكثير من أفراد العشيرة، بينما عيناه كانت تتحدث قبل لسانه، فكانتا حمراوان، ورأسه يتشقق منها العروق السوداء، التي قد اقتربت من الانفجار، قبل أن ينفجر هو بحديثه الجريء:

-في يدك السلطة، وأن تكون النجم الأكثر سطوعًا بين كبار قبيلتي، وقبل أي شيء.. ستكون المُنقذ لنا، فلمَ المماطلة؟

-إن تكلمت مرة أخرى سأقتلك، ولن ينزعج أحد من فعلتي، أتفهم؟

-سينقذني وليّ نعمتي قبل أن تفكر بالأمر، أنت لا تفهم شيئًا، أيامك معنا ككبير أصبحت معدودة.

أمسكت رقبته وقلت:

-من سمح لك أن تحدث كبيرك بتلك الطريقة؟

تغيرت ملامح وجهه إلى ملامح غاضبة، وعروق جسده انفجرت في وجهي، وخرج منها سائل أسود كان يحرق في جسدي، بينما هو فحاول خنقي وهو يضحك ويقول:

-ومن قال لك بأنك كبير، أنا كبيرك وكبير كل مَن تتخطى أرجله الكهف.

في تلك اللحظة أدركت أنني أتكلم مع أحد أتباع وليّ النعمة، فكان يحاول تحذيري عن ما أقدم عليه، لكنني استطعت افتكاك يديه، واقتلعت رأسه من جسده، وعندما غدت إلى وعيي، وجدت العديد من أفراد العشيرة يصفقون لي على قتل الرجل، مما جعلني أشعر بالاختناق من أفعالهم، حيث أنهم يبتهجون على أفعال كارثية مثل مقتل فرد منهم عاش ظروفهم، لكنني أرحت رأسي من التفكير، وأسرعت قدميّ حتى غدت إلى القصر لأغتسل، وابدل روبي المتسخ من الدماء السوداء التي انفجرت في وجهي، وعندما وضعت قدمي داخل القصر، وجدت إيما خارجة منه وهي غاضبة، فناديت على لورين لكنها لم ترد، انتهزت الفرصة واغتسلت،

ثم أرحت جسدي على السرير، حتى نمت نوماً عميقًا، لم أحلم فيه بشيء يفسد عليّ هدوئي بعد ليلة عصيبة.

وعندما أفقت مرة أخرى لم أجد لورين جانبي، فعلمت أنها لم تنم على فراشها الليلة، لأنني لم أشعر بها طوال الليل، استأت من الأمر لكنني تركتها تفعل ما تشاء، أنا أيضًا أريد راحة في حياتي لبعض الوقت، دون أن يشاركني أحد بها، لكنني لم أنل راحة كافية، ولم يمر العديد من الوقت، إلا ووجدت إيما اقتحمت عليّ الغرفة وهي غاضبة:

-أين لورين؟

لم أفهم مغزى السؤال، وما الذي أتى بها الآن بعد وقت قصير من حفل ترابطها، فضوء البلورة لم يكمل دورته حتى لتأتي في ذلك الوقت، لكنني أجبت على سؤالها بتلقائية وقُلت:

-لم تنم معي الليلة، أظن أنها مكثت داخل أحد بيوتنا في الكهف، هناك الكثير منها.

-كنت أعلم أنك ستتركها تفعل ما تشاء، دون أن تعرف خططها التي ستقضي عليك وعلى سلطتك قريبًا.

تعجبت من كلمات إيما، ومن طريقتها وانفعالها الزائد:

-ماذا دهاكِ يا فتاة؟.. أريني ما في جعبتك، وأعلميني سبب انفعالك حتى أستطيع مساعدتك.

انفجرت في وجهي غضباً، وأشعرتني بالغضب أنا الآخر

عندما قالت:

-حبيبتك التي تضع فيها كل ثقتك، وأعطيتها سلطة لا تستحقها، تلعب من ورائك ألاعيب شيطانية وخبيثة.

أغضبني أسلوبها في الحديث، وطريقتها فقُلت:

-أخبريني بما تعرفين، ولا تتلاعبي بي يا فتاة، وإلا سأطردك من هنا.

- حبيبتك لورين تخطط هي وأوسر صديقك في عزلك عن السلطة، كي يُمهد لهما الطريق في تنفيذ مخططاتهما دون تعقيد.

صُدمت مما سمعت، وعلى الرغم من أنها أختي، لكنني قُمت باتهامها وقُلت:

-صدق الحكيم عندما أخبرني بأن عقلك ينقصه الكثير، حتى تستطيعي مباشرة سلطتك.

-الآن تُصدق كلمات الحكيم، وتنسى مُخططك؟!!

-الحكيم سبب في نعمات كثيرة عشناها، لكنني أكره خططته الممثلة في القضاء على البشر، فهناك طُرق أخرى ستساعد الكل.

-الحكيم صخرة تتحدث، لن تستطع القضاء عليك إن ساعدتك في مهمتك، وطلبي الوحيد هو القضاء على أوسر، وإعدام لورين في منتصف الكهف، بجانب معبد الحكيم.

-أنتِ تحلمين إيما، فأنا متأكد بأنكِ تعلمين إجابتي جيداً، وهي الرفض.

-ستصغي لي قريبًا، حتى وإن لم تكن الليلة.

-أنا لا أثق بكِ، ولن أثق.. لكنني سأعطيكِ حقك من السلطة، ولا تحلمي بشيء آخر.

دخلت لورين وهي يظهر عليها النعاس الشديد، وعندما رأت إيما ابتسمت وقالت:

-إيما!!.. لما أنتِ هنا الآن؟

ابتسمت إيما ابتسامة نصر وهي تقول:

-سأخبركِ بنفسي قرارات كبيرنا أريس، هي وأنك قد عزلتِ عن قيادة حرس الكهف، وأنا من عينت كقائدة جديدة للحرس، وبالتالي عادت الأمور بشكل طبيعي، فأنا ابنة شمشون، كبيرنا السابق، وأخي يكون أريس، كبيرنا الحاضر.

شعرت بأن لورين ستغضب من حديث إيما، لكنها ابتسمت وقالت:

-يسعدني بأنك عدتِ بكامل قواكِ العقيلة، وستقومين بمباشرة أعمالك وحقك داخل الكهف، وإن أردتِ مساعدة، فأنا هنا كي أساعدك.

اغتاظت إيما من طريقة لورين، وتركت القصر، فانتهزت الفرصة وقُلت:

-أشعر بأنكِ لستِ مستاءة لورين.

احتضنتني وقالت:

-لا تقلق، أنا فخورة بقراراتك، وأنك استطعت إرضاء أختك، أنت الكبير، وأشعر بأنك ستنفذ خطة ولي النعمة دون أي مقاومة.

قبلت رأسها وقُلت:

-لا تقلقي، ستكون الأمور على ما يرام.

الفصل السادس(الشيخ راجح)

اتصلت بي مريم، فأغلقت جهاز البلاي سيشن، وطلبت من فارس أن يجهز، بينما أنا لم أحتج إلى تغيير ملابسي، لأنني لم أغيرها منذ الصباح، ومريم طلبت مني الإسراع فهي تنتظرنا.. أغلقت معها، وفارس كان قد انتهى من تبديل ملابسه، ثم التقط هو المفاتيح، ونزلنا إلى أسفل كي نركب السيارة، وفارس قاد طريقنا حتى قابلنا مريم، فالغضب كان يتملكها، وسببه التأخر على موعدنا، وتخوفها من انشغال الشيخ راجح في موعد آخر، غير ذلك فهي تكره التأخر عن مواعيدها، فساعتها هي سيفها بالحياة، حاولت تهدئتها حتى نجحت، ورأيت الابتسامة على وجهها، وكنا طوال الطريق نتحدث سوياً عن مستقبلنا، بعدما يستطيع الشيخ راجح إخباري بالطريق الصحيح، لنتخطى تلك المحنة المظلمة، فشعرت بأمل سيخرجني من تلك الحفرة التي وقعت فيها، أمل سيجعلني أتغلب على ذلك الكائن الشيطاني، ولن يستطيع التلاعب بي مرة أخرى، قاطع حديثي وأحلامي فارس عندما قال:

-ها قد وصلنا، فتحمس لرؤية الشيخ راجح.

ردت مريم عليه بسخرية:

-لا أعلم ماذا سيحدث له إن رأى الفنان كريم محمود عبد العزيز بعد نجاح فيلمه الأخير، وتحطيم الأرقام على شباك التذاكر.

قاطعتهم وقلت:

-لندخل إلى الشيخ راجح، وعندما نحل المشكلة التي وقعت فيها، سنذهب للقاء جميع الفنانين.

خرجنا من السيارة، وصعدنا إلى الدور الثاني، واستقبلتنا فتاة بالعشرينات من عمرها وهي تبتسم لنا، وتخبرنا بأن الشيخ ينتظرنا من نصف ساعة مضت.. شعرت بالإحراج الشديد منها ومن الشيخ الذي ينتظرنا بالداخل، فنظرت إلى مريم في تلك اللحظة ووجدتها غاضبة مني ومن تأخري المعتاد، لكنني تداركت الموقف عندما دخلنا غرفة واسعة، وفي نصفها يجلس شيخ في الأربعينات من عمره، لا يظهر عليه كبر السن، اختصر فارس الحديث الذي يدور بداخلي، واقترب من الشيخ ليخبره عن سبب قدومنا، قاطعه الشيخ راجح وهو مبتسم، وأشار إلى مريم وهو يقول:

-أنتِ من توسلتِ إليّ حتى أوافق على قدومكم أليس كذلك؟

ظهر على وجه مريم الإحراج الشديد من كلمات الشيخ البغيضة، وذلك ما أثار غضبي وجعلني أعقب عليه بغضب شديد:

-إذًا نحن لا نريد المساعدة من شخص متغطرس مثلك.

قاطعني بلكنة أمر، وبصوت عالٍ:

-سأعرفك بنفسي جيدًا، أنا الشيخ راجح.. حاربت قبائل

شديدة القوة من الجن، واستطعت التغلب عليهم دون أن يصيبني مكروه، ولكن ما أخبرتني به فتاتك هو الذي جعلني أتكرم وأساعدك، وإن أصابني الغرور، فهو من سماتي الأزلية، والذي يساعدني في التغلب على ملوك وعشائر كاملة من الجن.

أشار لنا حتى نجلس على الثلاثة الكراسي الموضوعة أمامه، ومن الغضب نظرت إلى مريم، فأشارت هي الأخرى برأسها حتى أجلس، بينما فارس أمسك يدي وأجلسني على الكرسي، فصفق الشيخ راجح على طاعتي له:

-أحسنت.. لكنني أرى في أعين أصدقائك تطلعهم لمساعدتك، أكثر من تطلعك لمساعدة نفسك.

-ولمَ لا، هم يحبونني أكثر من نفسي، هم أصدقائي المقربون.

ضحك على إجابتي وأكمل حديثه:

-رد متسرع، وإجابة أضحكتني، لا يوجد مخلوق على وجه الكرة البيضاوية التي نعيش عليها يحب إنسانًا آخر غير نفسه، احذر منهما حتى وإن كانا أقرب الأشخاص إلى قلبك.

قاطعه فارس:

-معك حق، طبيعي أن لا تثق في أحد، وأنت لم تقابل شخصًا صادقًا في حياتك.

نظر إليه الشيخ بخبث شديد، وتدارك الموقف عندما قال:

- لا تقلق، الوقت يمر، والساعة تقترب، حينها ستعلم مقصدي.

صمت للحظات، ونظر إلى:

- الآن احكِ لي ما يحدث لك بالتفصيل.

قاطعتني مريم قبل أن أتكلم وقالت:

-لكنني أخبرتك على ما يحدث له.

-أريد أن أسمع منه.

أخذت نفسًا عميقًا وأخبرته بكل ما حدث لي:

-البداية كانت في بيت أبي بمرسى مطروح، كنت أرى أشياء كثيرة هناك، وأشعر بروح تحوم حولي، لكنني لم أكن إلا طفلًا صغيرًا، عندما أخبر أبي بما أرى، يقول لي بأنها خيالات، ويعطيني دروسًا في الشجاعة، ومع الوقت زادت الخيالات، وبدأت في سماع أصوات الطبول حولي، حتى يظهر شخص من العدم يتشكل على هيئة أشخاص أعرفهم، وأشخاص لا أعرفهم.

-ولمَ تظن بأنه نفس الشخص؟

-قلبي وعقلي، رائحته المميزة، فهو يختلف عن البشر كثيراً في وجدانه، ويشبهنا في هيئته البشرية، حاولت العديد من المرات التغلب عليه، لكنني لم استطع، وكبرت في السن، وفي يوم لم أنسه حتى الآن، رأيت شخصًا ما على النيل يختلف عنا في هيئته وطريقته، فكان يرتدي روبًا أسود من الحرير،

حينها أغمى عليّ، وفُقت مرة أخرى وأنا على كورنيش النيل، أجلس على كافيه، ومنذ تلك اللحظة تراودني أحلام بأن ذلك الشخص حاول قتلي، لكنني استطعت النجاة منه، وتتكررت الأحلام والرؤى المُرعبة في حياتي، والعديد من المرات حاولت التغلب عليها، لكنني أفشل في ذلك.

-السر يكمن في مرسى مطروح، ليست مصادفة أن تبدأ الأحداث هناك.

-كنت سأسافر إلى هناك يومين للراحة مع صديقي فارس، إن كنت تريد زيارة المكان.

ضحك وقال:

-سنذهب إلى هناك بالفعل، لكن بطريقتي.

في تلك اللحظة طلب مني إغماض عيني، والتفكير في المنزل، تحديداً الموضع الذي بدأ فيه كل شيء، ثم وضع يده على رأسي، فشعرت بالصداع، لحظات ورأيت نفسي داخل المنزل أتمشى فيه، وأرى طفلًا صغيرًا يشبهني، عندما اقتربت أكثر، علمت بأن ذلك الطفل الذي يشبهني هو أنا، ومع اقترابي منه، رأيت عينيه اختفت من جسده، وأصوات الطبول عادت مرة أخرى، والطفل الذي يشبهني وقع على الأرض وهو يرتعش من الخوف، ويغطي أذنيه بيديه، وهو يطلب مني المساعدة، فظهر الشيخ راجح، وكان يقف خلف الكائن الذي يتشكل على هيئة أشخاص أعرفهم، وتلك المرة قد تشكل على هيئة صديقي فارس، فأمسك بالشيخ، وحاول

خنقه، طلب الشيخ النجدة، فاقتربت منه وافتككت يد فارس من رقبته، لم يكتفِ فارس بفعلته، بل أمسكني أنا الآخر وحاول خنقي، طلبت منه الرحمة، لكنه مغيب، لم يكن فارس الذي أعرفه، بل كان شيطانًا أخرس يحاول قتلي، وفي تلك اللحظة عدت للحياة مرة أخرى وأنا في غرفة الشيخ، بينما الشيخ راجح كان يصرخ مني وأنا أحاول خنقه، وعندما أفلت يديّ منه، وقع على الأرض وأمسك رقبته، كي يطمئن على روحه، ونظرات وجهه كانت تتحدث على الرغم من صدمته وسكوته، بالنهاية طلب مني الرحيل، قاطعته مريم وقالت:

-نرحل؟!.. بتلك البساطة نرحل؟!.. ماذا حدث؟! على الأقل أخبرنا مَن نواجه.

نظر إلى الأرض وهو يقول:

-لقد رأيت الكثير من الأروح الشريرة، لكن ما رأيته الآن هو الشر بعينه.. هو الشيطان، إبليس، ملك الشياطين ورئيسهم، ذو الكلمة الأولى والأخيرة، ومن المتضح أنه يخطط لعمل كبير سيظهر الأيام القادمة، وإن صدقت الأسطورة، فهناك من يسكن أسفل الأرض، وينتظر اللحظة المناسبة كي يمحو البشرية من الوجود، نصيحتي لك أن تسلم روحك، هو لن يتركك إن حاولت إفساد مخططاته.

شعرت بالخوف، نتج عنه ارتجافه بسيطة في جسدي:

-شيطان، وإبليس!.. عن ماذا تتحدث أيها المخبول.

جلس على كرسيه مرة أخرى، وهو يظهر عليه الخوف،

وينظر يمينه ويساره بتوتر، يوحي لي بأن هناك أطياف تطوف حوله، وتحاول انتهاز فرصة هو مغمض عينه فيها ليقتلوه، فطلب منا الذهاب بعدما يخبرنا بالحقيقة، وما يعرفه عنها:

-حاربت قبيلة قويه من الجن في سبيل إنقاذ حياتي من مخططاتهم، وعندما أصبحت العلاقة بيننا على ما يرام، علمت منهم بأن الوعد قد اقترب، لم أفهم شيئًا عن ذلك الوعد، حتى شرحوا لي مخططًا دام لسنوات، من بشر عاشوا منذ طوفان حدث قديمًا، إلى مخطط اقترب تنفيذه سيقضي على جميع أنواع الحياة على الأرض.

لم يستوعب عقلي ما قيل، فكان أشبه بالخيال، لكن فضولي احتاج العديد من الأسئلة:

-ولمَ يستخدم البشر؟.. من حديثك على المخطط فهو يملك قدرة هائلة، أمكنته من إنقاذ المجموعة من طوفان عظيم.

-الشيطان ما هو إلا وسيلة، لن يسيطر على روحك وهي طاهرة، وإن لم تسلم روحك له، فقدرته الوحيدة هي قراءة أفكارك، والتلاعب بمشاعرك، ومن الواضح أنك اقتربت من تسليم روحك له، وفي تلك اللحظة لن يرحمك، سيعذبك، ويقتلك على نيران هادئة، وينتهي الأمر بتنفيذ المخطط.

قام فارس من أعلى كرسيه، ودنا من راجح:

-أظن أنك رجل مخبول، وستموت قريبًا، نتيجة لخرافاتك.

طلبت من فارس الجلوس على كرسيه، ونظرت إلى الشيخ راجح حتى يكمل خرافاته، فأردف الثاني:

-قد فات الأوان، أرحل الآن عن منزلي، أنا لا أريد الدخول في حرب مع مجموعة من الشياطين ورئيسهم إبليس.

أمسكت مريم يدي، وطلبت مني الرحيل، لكنني لم أكن في وعيي، كنت في عالم آخر موازي لعالمنا، أرى جثتي وهي على ضفاف النيل، والشيطان يحفر حفرة جانبي حتى يرميني فيها وهو مبتسم ابتسامة نصر، بالنهاية استيقظت من حلمي وأنا داخل سيارتي، ومريم تحاول إفاقتي، اغرورقت عيناي مجرد أن تخيلت مستقبلي، ونهايتي المأساوية، حينها رأيت طاقة نور بنهاية نفق أمشي فيه، وعندما وصلت رأيته مرة أخرى وهو يطلب مني الذهاب إلى بيت مرسى مطروح، فهناك تكمن الحقيقة، مسحت دموعي وأنا أطلب من فارس أن يوصل مريم إلى منزلها، ويعود بنا إلى المنزل كي نحضر حقائبنا، ثم يترك مقعد القيادة كي أقود إلى مرسى مطروح، فهناك يكمن السر، وتطفو الحقيقة.. في البداية رفض فارس الذهاب إلى هناك، لكنني أصررت على موقفي، منها وافق فارس، وعندما عدنا إلى المنزل ووضعنا الحقائب بالسيارة، أخذت مقعد القيادة، وسلكنا طريقنا إلى بيتي.. بمرسى مطروح.

الفصل السابع(الخطة)

عادت إيما إلى البيت البلوري وهي في قمة سعادتها، ووجدت أوسر قابعًا كما هو على الفراش يفكر في كيفية القضاء على أريس، فحطمت إيما القليل من طموحه، وافتتحت الحوار بينهما بصوت ضحكها العالي، فنظر لها أوسر بوجهه المجون، وتكلم بتأفف:

-أخبريني بالجديد، كنتِ البارحة جامدة لا تتحركين، وتنتظرين مني فعل كل شيء، اليوم تضحكين بصوت عالٍ!!.. هيهات عليكِ.

تقربت إيما منه، وظلت تحدق في عينه وهي مبتسمة ابتسامة جعلت أوسر يرتعب منها، فدفعها بيده، وأكمل حديثه بغضب:

-ابتعدي عني أيتها الشيطانة الملعونة، وأخبريني سبب سعادتك، أو اغربي عن وجهي الآن، عندي بعض الأعمال لأباشرها.

-لا تشعرني بأنك شخص مسئول، أما أنا ليس لي قيمة.

عقب عليها وهو يتكلم بنبرة استهزاء:

-أنتِ فتاة مدللة، أخوكِ ترك سلطتك كي تباشرها لورين، لأنكِ غير قادرة على مباشرتها...

لم يكمل حديثه، ووضعت إيما يدها على فمه، وقالت بفخر:

-سلطتي عادت لي مرة أخرى، ولورين عادت فتاة مُدنسة، وقريبًا ستعود كما هي، فتاة يبيع أبوها جسدها ليلاً ليجد بعض الديدان يأكلها.

تغيرت ملامح وجه أوسر، وأمسك يد إيما بقوة كادت أن تكسر عظامها:

-لا تتلوِ مثل الأفعى وأخبريني ما في جُعبتك.

حاولت إيما إفلات يديها منه، ونجحت في ذلك، فاطمأنت عليهما كي تتأكد من سلامتهما وقالت:

-سأكرر ما قُلته مرة أخرى، قد عادت لي سلطتي التي أخذت مني تعسفاً، وعادت لورين كما هي.. فتاة مُدنسة.

احتضنها أوسر وقبل يديها، فتبدلت ملامحه القاسية، إلى ملامح تغمرها السعادة، مما جعل إيما تخاف من طريقته، وأردف الأول:

-تستحقينها حبيبتي، لو كنت أعلم أنكِ ستتغيرين بعد ارتباطنا، لكنت عجلت في الأمر مُنذ البداية، أنتِ الأحق بتلك السلطة.

لم تستوعب إيما ما يحدث أمامها من تغير جذري في شخصية أوسر، وظلت سمات الشك تدور في عقلها تجاهه:

-خطة بديلة، أليس كذلك؟

-لمَ تشعرينني بأنني شيطان أمامك؟!

-كلنا شياطين، لا تنسَ من هو وليّ نعمتنا.

-تشبهين أريس كثيرًا.

-أنا لا أشبه أحدًا، وإن كان هناك من يشبهني، فهو أنت... الأيام ستعلمك مَن هي إيما.

وجد أوسر الحديث بينهما لن يأتي بجدوى، وغادر البيت البلوري بحجة تأخره عن أعماله، فتركته إيما وأراحت جسدها على الفراش قبل أن تخطط للقضاء على لورين وأوسر، لكنه أذكى منها، وذهب إلى لورين، فهي أعماله التي يباشرها يوميًا، وعندما وصل أوسر منتصف الكهف، موضع جلوس الحراس في بيت الحرس الزمردي، لم يجد لورين، فتذكر أنها شلبت من سلطتها، حزن أوسر، وخاف من إيما أكثر من أي وقت مضى، وبعدما تملكه اليأس انطادت مشاعرة مرة أخرى، عندما أخبره أحد الحراس المقربين له وإلى لورين بوجود الثانية في منزل صخري قريب من هنا، عَرف أوسر البيت، وذهب دون تردد، فكانت لورين جالسة على صخرة كبيرة في البيت وهي حزينة، وعندما رأت أوسر، اقتربت منه، واحتضنته، ثم بَكت وقالت:

-لم يدافع عني، جعل فتاة مخبولة تهينني أمامه، هي تظن أن السلطة في قيادة الحرس، لا تعرف أنهم يخدمونني حتى وإن شلب مني كل شيء.

-لا تحزني، فازت في جولة صغيرة، وستخسر الباقي.

حدقت لورين في أعين أوسر بنظرة ارتعب منها وقالت:

-أريس... سأقضي على أريس كما فعل بي.

-تقضين على الكبير؟!... إيما ومن السهل استدراجها في موضع فارغ وقتلها، أما أريس عنده هبة أعطاها له وليّ النعمة، وسيعلم أننا نريد الإيقاع به بسهولة.

-ومَن قال أننا سنوقع به بيدينا، نحن مُجرد وسيلة ننشر بعض الأخبار الصحيحة بين أفراد العشيرة.

توقف أوسر للحظات يستوعب ما سمعته أذناه وقال:

-لعنة الشيطان عليكِ يا فتاة، كل ليلة أقضيها معكِ أخاف منكِ أكثر من أي وقت مضى!

-احذر مني، وكن في صفي، وسنبقى حبيبين طوال رحلتنا، حتى نصعد إلى السطح، ونعيش أسطورتنا التي تطبخ داخل أحشاء الحكيم.

-وكيف لنا بنشر الأخبار، والحكيم أعينه في كل مكان، أنتِ تعلمين بأنه يحب أريس كأنه ابنه.

ضحكت وهي تصفق على ما سمعت من لحظات، وعقبت عليه:

-الحكيم لا يحب أحدًا أكثر من نفسه، ونفسه ستحيا مرة أخرى عندما يُنفذ المخطط.

-أخبريني ما في جُعبتك.

-قد انتهيت منه، بعدما أخبرك أحد الحرس أن تأتي هنا،

أكمل عمله الموصى به مني، وأخبر باقي أفراد الحرس بنوايا كبيرهم ذي المشاعر الفياضة، وقبل أن ننهي حديثنا انتشرت الأخبار كالديدان، ولن تنهي البلورة دورتها قبل أن أرى حبيبي أريس بالبيت الصخري، ينتظر وجبته اليومية من الديدان الشهية.

تخيل أوسر صديقه أريس وهو جالس في البيت الصخري، وهناك بعض الحرس يحرسونه من أفراد العشيرة، قبل منع هروبه من البيت، مما جعله يشعر بالنصر:

-سيذكر التاريخ أول شخص يعيش في البيت الصخري هو كبير القبيلة.

تبادلا القُبل، وأنهيا الحديث بينهما على الفراش، فكانت خطتهما تطبخ على نار هادئة.. نار الشهوة والكراهية.

(أريس)

تحملت رياء وطياشات إيما سنوات عديدة، تنفيذًا لأوامر أبي شمشون، لكني سئمت تصرفاتها الطفولية، مما أكد لي أنها فتاة مجنونة كما ادعى الحكيم، ومغرورة كما ادعى أوسر، أما لورين هي الوحيدة التي وثقت فيها، وأخبرتني أنها قادرة على تغيير صفاتها السيئة إلى صفات أخرى تخدم أفراد العشيرة، لذلك سكت عندما طلبت السلطة، كما أن لورين وافقت على إعطائها ما تريد، وبالنهاية سلطة الحرس ما هي إلا سلطة روتينية كباقي السلطات داخل الكهف، فالسلطة الحقيقية بيد الحكيم تنفيذًا لأوامر ولي النعمة، وهنا

يأتي دور الحكيم السحري عندما أوتي بسيرته، تنتابني رؤيا ضبابية داخل رأسي، وتلك المرة سمعت صوته وهو يحذرني من خطر قادم، وأنهى الرؤيا الضبابية بضحكته المزعجة، فسمعت خطوات أقدام في الخارج، علمت أن لورين أتت أخيرًا، فخرجت حتى أعرف منها أين ذهبت، وعكس المتوقع، رأيت إيما أمامي، كانت خائفة، ظننت أن هناك من ضايقها، حتى علمت أنها خائفة عليّ، فقالت لي بقلق وحذر:

-هناك مَن نشر بعض الشائعات عنك.

-شائعات؟!... مَن يتجرأ بنشر الشائعات عليّ، وما مضمونها.

-قد عرفوا حقيقتك.

ضحكت وأنا أتناول دودة شهية:

-وما هي حقيقتي؟

ردت عليّ بصوت خافت:

-حقيقة اندماجك مع البشر أيها الكبير، وعصيانك أوامر وليّ النعمة لإفساد مخططاته.

لن أنكر شعوري بالتوتر، والخوف من عشيرة تعيش في الفاحشة، قادرة على قتلي دون رحمة، أو حماية من الحكيم وعائلتي، فقُلت بهدوء:

-سأذهب إلى الحكيم حتى أفهم منه ما يحدث حولي من شائعات كاذبة.

-صادقة... صادقة أريس، لا تكذب عليّ، فأنا أشم رائحة خوفك من هنا.

صدقت إيما، وعلى الرغم من ذلك، لا يوجد حل أمامي إلا الحكيم، هو الوحيد القادر على إرشادي للطريق الصحيح:

-لم أعلم أن الأمور ستأتي بنا إلى هذه النقطة، والعشيرة سيصلها مخططي ومشروعي الصغير، فلا يوجد شخص خارج العائلة يعرف به.

ابتسمت إيما، وقبل أن تتكلم، سمعنا صوت خطوات أقدام، وشخص يبكي، لحظات ووجدت لورين تحتضنني وهي تبكي:

-عَلمت أنهم سيحتجزونك في البيت الصخري، كي لا يقتلك أحد من أفراد العشيرة، لعنة وليّ اللعنة عليهم من أفشوا أسرارك.

لحظات وأتي أوسر هو الآخر، وكان يظهر عليه الخوف والقلق الشديد:

-أفراد العشيرة ينظرون لي بنظرات مريبة في الخارج، الأفضل لك أن تزور الحكيم في أسرع وقت.

لم أنطق غير بكلمة واحدة ردًا عليهم هم الثلاثة:

-العائلة، مَن أفشي سري هو من العائلة.

ابتسمت إيما، واقتربت مني، ثم همست في أذني:

-انتهزوا الفرصة حتى يظفروا بسلطتك، ويحتجزونك داخل بيتهم الصخري، ماذا تنتظر!!... اقتلهم.

ما زالت لورين قريبة مني، فسمعت همسات إيما في أذني، مما أدى لغضبها، وتفوهها ببعض الكلمات القاسية:

-أنتِ الفتاة المختلة بيننا، ومن السهل عليكِ إفشاء أسرار أخيكِ، وكما أردتِ سلطتي، كما تريدين سلطته.

صفقت إيما، وضحكت وهي تلوح بيديها في وجه لورين:

-نعم... سيشهد تاريخ الكهف أول أنثى تأخذ منصب الكبير، هي إيما ابنة شمشون، أخبريني الآن مَن فينا المُختل أيتها المخبولة، فأنا لن أستفيد شيئًا من إفضاح سر كهذا، سيقلب موازين الكهف، ويفتح أبواب الجحيم علينا.

تدخل أوسر في الحوار:

-لا تتهمي حبيبتي باطلًا لورين، فأنا أشك فيكِ من البداية، أنتِ مَن وشيتِ علينا.

وضعت يدي على رأسي من شدة الألم الذي شعرت به، وهزلت قدماي فوقعت على الأرض، تبدلت الأماكن ووجدت نفسي على سطح الأرض، وشخص من بعيد يطلب مني النجدة، حاولت الوصول له، ولم أستطع لوجود قوة منعتني عن التحرك، وشلّت قدميّ، وعندما وضعت تركيز أكثر على الشخص، علمت أنني أرى مرآة لنفسي وأنا أطلب النجدة، وأتى مَن ساعدني حتى وقفت على قدميّ مرة أخرى، وتلك

المرة الأولى التي أسمع فيها أصوات طبول آتية من بعيد، فهرب الشخص وظهر حيوان لم أستطع تحديد ماهيته، اقتلع رأسي من جسدي، فشعرت بغزة قوية في قلبي، جعلتني أفوق من حلمي وأنا ملقى على الأرض وسطهم هم الثلاثة، ينظرون لي برعب، وعندما اتكأت على قدميّ، حاولوا التبرير مرة أخرى، فأسكتهم.. وخلعت روبي وسط ذهول منهم:

-ستمشي عاريًا؟؟

قالت لورين تلك الجملة، وهي لا تفهم مقصدي:

-لن يعرفني أحد من أفراد العشيرة بتلك الطريقة، فهم يروا العراء سترة، والروب تميز.

صَمَتَ الجميع في ذهول، ولم يعقبوا على حديثي بشيء، فتحركت اتجاه المخرج، وخرجت مُتجهًا إلى معبد الحكيم، تعمدت أن أسلك الطريق الذي يتمشى فيه باقي العشيرة، دون الطريق المختصر، فكانت نظرات كل من يقابلني مريبة للغاية، وهناك بعض النساء يحتكون بي حتى أزورهم ليلًا، والرجال يطلبون مني إعطاءهم بعض الديدان مقابل نسائهم، لم أركز معهم، بل سلكت طريقي صامتًا، دون أن أنطق كلمة واحدة، حتى لا يعرفني أحد من صوتي، فوصلت معبد الحكيم، ومررت إلى الداخل وأنا أنتظر أي لعبة من ألاعيب الحكيم، أو وليّ النعمة، لكنني لاحظت انخفاض ضوء البلورة، وهدوء أنوار المعبد نتيجة لما سبق، وقبل أن أنطق كلمة واحدة، قاطعني الحكيم بصوت رجل عجوز مُتعب، وتلك

المرة الأولى التي أسمعه فيها يتحدث كذلك:

-أعلم ما أتى بك إلى هنا، لكنني عاجز عن مساعدتك، فالبلورة تنطفئ، والسحر اقترب اكتماله داخل أحشائي، فيجب توزيعه في أقرب وقت على جميع بقاع السطح.

-تلك المرة الأولى التي أراك فيها مُتعبًا، وتريد مَن يساعدك، في كل مرة أزورك فيها كنت تتلاعب بي، وتعطيني درسًا في الثقة.

-أنت لا تفهم أريس، إن انطفأت البلورة، سنعيش في ظلام دامس حتى ينهار الكهف، فليس أمامنا غير تنفيذ الوعد، ونشر السحر في أسرع وقت.

-لا أريد سماع ذلك الحديث البائس، أريد معرفة المُتسبب في كُره عشيرتي لي.

رد عليّ الحكيم وهو مُتعب أكثر من أي وقت مضى:

-غدًا حفل تعيين كبير غيرك داخل الكهف، قد أبلغت عنك إيما الحرس كي يحتجزونك داخل البيت الصخري، وذلك حماية لك، قبل أن يكون نقمة عليك، لكنني لن أبلغ عنك، فأنا أحبك إلى تلك اللحظة، إنني أرى فيك شيئًا مختلفًا عن كل من سبقوك في منصب الكبير، على الرغم أنه ضد مصلحتي، ومصلحة باقي أفراد العشيرة، الذين وعدتهم بحياة مليئة بالخيرات في المستقبل، بعد ما أجبرتهم على سلوك الطريق المُظلم، إن كنت تريد تصحيح ما يحدث، اذهب إلى إيما، وأوقفها عن ما تفعل، قبل أن يُعين أوسر كبيرًا على العشيرة،

بطلب منها.

-وأين أجدهم؟

-البيت البلوري.

لم أنتظر سماع كلمة أخرى من الحكيم، وخرجت من المعبد وأنا في طريقي إلى البيت البلوري، فشعرت بصداع شديد جعل جسدي يهذي، ورأسي تؤلمني، فرأيت شخصًا ما من بعيد وهو يبتسم ابتسامة مُقلقة، ومريبة في ذات اللحظة، وكان يقترب مني ببطء شديد وهو يحدق في عيني، ويطلب مني المساعدة، فهناك من يريد قتله، أما أنا كنت واقف دون حركة وكان جسدي كالمشلول، يريد المساعدة، والشخص الذي يقترب مني أصبح وجهًا لوجه أمامي، يبتسم ابتسامة مرعبة، جعلتني أفقد توازني، فوقعت على الرمال، وطلبت منه الابتعاد عني، لم يصغِ لي، وكرر طلبه بالمساعدة، حتى فتح فمه، وكانت أسنانه مُدببة، وحادة، أكد لي أنه مُتطفل من خارج الكهف، وقبل أن يلتهمني بأسنانه المرعبة، ظهر وليّ النعمة بهيئته الحقيقة، وأنقذني من يد ذلك المُتطفل، وطلب مني الوقوف على قدميّ مرة أخرى، فقوى الظلام قد اختفت، وقبل أن يتركني ويذهب من حيث أتى، أخبرني بأنه لن ينقذني مرة أخرة، وتلك المرة الأخيرة التي سيساعدني فيها بعد ما عصيت أوامره، لكنني علمت ماهية ما حدث، تلك القوى خاصة به، تطيع أوامره فحسب، وظهوره لإنقاذي ما هي إلا خطة وضعها كي يكسبني في صفة، وإن أصررت على موقفي سيقتلني دون رحمة، وذلك التهديد لم ينسِني ما كنت

مُقدمًا عليه، وقبل تلك الأحاديث، يجب أن أذهب إلى البيت البلوري، قبل الحفل.

وصلت إلى البيت البلوري، فرأيت إيما بالداخل، كانت تجلس على بلورة كبيرة وهي تبكي، وعندما رأتني واقفًا أمامها، اقتربت مني، وحاولت خنقي، سرعان ما أفلت يديها دون أن أقاوم حيث قالت:

-دعني وشأني، أنت السبب في كل ما يحدث لي الآن، أمنت للورين دون عن أي شخص آخر داخل الكهف، رغم أنها لم تكن من العائلة، وتاريخها ملوث مع فراش الرجال، ورَغمًا عن ذلك سكت لأن العائلة صغيرة، ويجب أن ترتبط بفتاة كي تأتي بولي العهد، وهذا ما لم يحدث حتى الآن، ومع ذلك فأنت مُصر على وجودها بيننا، حتى أوسر صديقك المقرب، تعطيه اهتمامًا أكثر مني، وربطه بي برباط الوعد دونًا عن إرادتي، لأنه الوحيد من بين العائلة يعيش بيننا بعد ما قُتلوا جميعًا في حوادث مختلفة، كاليوم المشئوم الذي مات فيه عشرة أفراد من العائلة نتيجة انفجار بركاني على السطح، حتى الرجل الوحيد الذي أحببته، قتلته بدمٍ بارد بحجة حمايتي منه.

أكملت إيما وهي تضحك:

-لعنة وليّ النعمة عليك، أنت السبب فيما يحدث لي، وهنا أريد أخبارك بأن عقلي في أفضل حال، وعقلك أنت المشوش نتيجة دس سم الأفعى لورين في عروقك كل ليلة

على الفراش، وها هي تخونك في المعبد مع الحكيم ومعهم أوسر... اليوم هو تعيين أوسر كبيرًا للكهف خلفًا لك، وقد صدر أمر لمن يجدك من الحرس، ينقلك للبيت الصخري دون إذن.

لم أستطيع إيقافها عن التكلم، فكانت كالقنبلة الموقوتة، التي انفجرت في وجهي بعدما نطقت كلماتها الأخيرة معي، فقلت لها بصوت متذبذب:

-الحكيم يحتضر، والسحر قد انتهى، وأنتِ مَن أوشيتِ بي.

صفقت إيما وهي تضحك عليّ كالطفل الحائر:

-دائمًا ما أحترم ذكاء ذلك الرجل المدعو بالحكيم، استطاع إلهائك، فهو يعرف جيدًا أن الحرس لن يقدروا على إيقافك، فقرر إلهائك حتى تتم المراسم.

لم تتوقف إيما عن الضحك، مما جعلني أصفعها على وجهها:

-ما المضحك فيما تقولين.

مررت وجهها لي مرة أخرى، ونظرت لي وهي تبتسم:

-لأنك خسرت كل شيء كما سلبتني كل ما أحلم به، وما أريده... على الرغم أنه القليل مما تفعل كل يوم، والآن جاء دورك.

تأكدت أنها قد جُنت، فتركتها وهي تضحك بهستيرية، وذهبت إلى الكهف مسرعًا، وأمام عيني رأيت أوسر يُعين كبيرًا وسط أفراد العشيرة، وعندما جاءت عيني في عينه، وجدت الخوف داخلها، فجاءت الطعنة الأخيرة التي كادت

وأن تقضي عليّ، عندما نادى أوسر بعلو صوته للعشيرة وهو يشير عليّ بنظرة غدر:

-ها هو أريس الفاسق، اقتلوه.

هاجت العشيرة عليّ، وقبل أن يقتلوني، هربت من طريق سري إلى خارج الكهف، ووجدت نفسي في قلب الصحراء دون قطرة مياه واحدة، فاتبعت طريقي إلى النيل مشياً على الأقدام.

الفصل الثامن (بيت مرسى مطروح)

وصلنا بيت مرسى مطروح، وكانت جميع الأشياء مغطاة بقماشة بيضاء يكسوها التراب مُنذ سنوات، قبل أن يموت أبي وأمي، وتنقطع إجازتي هنا، أمام البحر، فقُمت أنا وفارس بتنظيف البيت، واستمررنا في العمل خمس ساعات متواصلة، حتى انتهينا من التنظيف، وتأكدنا أن كل شيء على ما يرام، شعر فارس بالتعب من المجهود المبذول، ومن طريق السفر، وأختار غرفة يمكث فيها، لم تمر لحظات قليلة، قبل أن أنادي عليه، فسمعت أصوات آتية من غرفته تدل على نومه السريع، لم أنتظره حتى يصحو، وبدلت ملابسي كي أجلس قليلًا على الشاطئ، أستمع لأصوات أمواج البحر المريحة للآذان، وأستمتع برائحة اليود مع نسمات الهواء المقشعرة للأبدان، التي جعلتني أتذكر ماضٍ عشته مع أبي وأمي ليلًا، ونحن نسمع أم كلثوم وهي تطرب الأذن، فكان أبي يحب أغنية (أنت عمري)، وكلما سمعها، يتذكر ليلة زفافه مع أمي، عندما شعر الناس بالملل داخل القاعة بعد ما بدأت الأغنية، وأصر أبي أن يرقص عليها مع أمي، ذكريات دافئة جعلتني أشعر بالنعاس، والحنين للماضي، فنمت بشكل لا إرادي من الرطوبة المنعشة.

أفقت مرة أخرى وأنا على فراشي، وأم كلثوم تختتم أغنيتها الشهيرة (أمل حياتي)، فلم تمر لحظات إلا وشعرت بالاستغراب الشديد عن سبب وجودي هنا على فراشي، بعد ما كنت على الشاطئ، جاء الجواب سريعًا، ورأيت ضوءًا

ساطعًا آتٍ من صالة البيت، وعلى عكس أي مرة أخرى لم أخف، فكنت أشعر بالهدوء، والسلام الداخلي، سمعت صوتًا آتٍ من داخل الضوء الساطع يتحدث:

-قلبك مضيء نتيجة لأعمالك الصالحة يا فتى، أنت مطمع لهم، ولكل مَن يريد تحقيق مخططهم، ابتعد عنهم، وعن كل مشتت لعقلك، أنا لم أخترك، ولن يختارك أحد غير نفسك الصالحة يا فتى.

لم أفهم شيئًا من حديثه، ولم أخف من طريقته الغامضة ظناً مني بأنه خير لي، وبكل أريحية قُلت:

-وما فائدة حديثك الآن، الشيخ راجح أخبرني....

زاد شعاع الضوء، ورغماً عني لم أكمل حديثي، بينما هو اختتم حديثه وقال:

-لا تستمع له ولكل شخص يشتت أفكارك، أنهم يخافون من نظافة قلبك، تذكر بأن سر قوتك هو سلامك النفسي، وأعمالك الطيبة.

اختفى الضوء، وسمعت صوت موجات البحر تتعالى، ومذاق مياه مالحة في فمي، فتحت عينيّ مرة أخرى وأنا على الشاطئ، نائمًا على الرمال، والمياه تداعب وجهي البائس.

أخرجت هاتفي من بنطالي المُبتل، وحاولت تجفيفه تحت ضوء الشمس، ونظرت إلى الساعة، وجدتها السابعة صباحًا،

وفارس لم يفق من غيبوبته القصيرة بعد، كنت أشعر بالجوع حينها، فأعددت بعض القهوة، مع طبق بيض بالبسطرمة المالحة، بإضافة بعض لانشون اللحم كي يقلل الملوحة، ويعطي طعمًا رائعًا يذكرني بطعام أمي، ومع الملعقة الأولى التي اقتحمت فمي، فاق فارس على رائحة الطعام، وهو يضع يده على معدته ويصيح بصوت عالٍ:

-أين نصيبي من الطعام يا صديقي؟

لم ينتظر إجابتي إلا واقتحم المنضدة، وأخذ طبق البيض بالبسطرمة لصالحه، دون أن يعطيني ملعقة أخرى، وقبل هضمي لما أكلت، كان الطبق يلمع كاللؤلؤة، وهو يكمل صياحه:

-إفطار شهي، لكنني أتضور جوعاً، أحضر محفظتك من الداخل، وبدل ملابسك، سأعزمك من جيبك على وجبة سمك مليئة بالفسفور المُفيد للصحة.

-لطالما كنت شخصًا باردًا في نظري، لكنني سأعزمك دون مقابل، أنا مَن أتيت بك إلى هنا، وأنا مَن سأعتني بك.

ضحك وقال:

-يا رجل أنت مواظب على التبرع للجمعيات الخيرية حتى الآن، اتباعًا لوصية والدك، وتكون فرحًا بكل قرش يخرج من جيبك.

علمت مغزى حديثه، وسببه، فأكملت:

-سأعتبرك منهم لا تقلق، لكن تذكر جيدًا، التبرعات ترسل إلى الجمعيات دون طلب منهم، وعلى هذا المنوال... الأكل الذي سأطلبه، ستأكل منه.

نظر إلى بنظرة حزن أعرفها جيدًا، تظهر كلما قُلت له شيئًا يضايقه، فتفاديت الموقف وقُلت:

-أمزح معك يا رجل، مالي هو مالك.

-أحسدك على قلبك النقي يا رجل، ومواقفك الرجولية.

أكملت مزحًا وقُلت:

-كل هذا لأنني سأعزمك على الطعام، ماذا ستفعل إن طلبت لك كيلو جمبري مقلي!!

سخر مني وقال:

-سأطردك خارج الشقة، وأدعو بعض الأصدقاء ليلًا.

بدلت ملابسي، وذهبنا إلى مطعم كبير يطهو السمك بمرسى مطروح، وكعادة فارس طلب جميع الأصناف المحببة إلى قلبه، ولم يترك شيئًا في قائمة الطعام إلا وأتى به، وعندما انتهيت خرجت من المطعم أتمشى قليلًا وحدي حتى ينتهي فارس هو الآخر، فجاء على خاطري عم إبراهيم، كنت أشتري منه اللب الأبيض المشهور بمرسى مطروح، وبعض الحلويات المحببة إلى قلبي، فهو يمتلك مقلة في وسط مطروح، مليئة بالخيرات، وهناك الكثير من الأشخاص يأتون له من أماكن عديدة كي يشتروا منه اللب الأبيض الطازج، فكانت رائحته

تقشعر الأبدان، وتفرح القلب، وهذا ما شعرت به فور اشتمام الرائحة وهي آتية من بعيد، وعندما خطيت عتبة المحل، سمعت صوت رجل عجوز يقول:

-الراوي، يا مرحب بصديق الطفولة.

ابتسمت وقُلت:

-الراوي توفى منذ عدة سنوات هو وزوجته، الشخص الواقف أمامك هو ابنه أمير... أمير الراوي.

نزل عدة درجات من موضعه، واقترب مني وهو يمسح نظارته القديمة:

-رائحتك تشبه رائحته.

ثم وضع يديه على قلبي:

-وقلبك يشبه قلبه.

سخرت منه وقُلت:

-كيف لك أن تعرف ما في داخل قلبي من لمسك له.

ضحك ضحكة رجل عجوز في السبعينات من عمره وقال:

-طريقتك في الكلام تُظهر ما في داخل قلبك النقي يا فتى، أنت تشبه أباك كثيرًا.

-كيلو لب أبيض يا رجل يا طيب.

-ابتعد عنهم يا بني، أنا أتذكرك جيدًا منذ ما كنت تأتي هنا

مع أبيك وأمك، هم يستهدفون صفاتك الجيدة، ويقتلوا الروح النقية التي تطوف داخلك، اقترب من ربك.

-وما السبب وراء تلك المحاضرة الصغيرة؟

ابتسم وقال:

-أبوك قال لي تلك الجملة مُنذ آخر مرة جلست معه فيها، ومن تلك اللحظة اختفى.

شعرت بالغرابة من عم إبراهيم للمرة الأولى، وسرعان ما أخذت كيلو اللب، وخرجت من المحل، فقابلت رجلًا في الثلاثينات من عمره، وقف أمامي وهو يضحك:

-لا يوجد شيء لسرقته بالمقلة، مُنذ أن نشب فيها حريق، لم يتبقَ فيها إلا الرماد.

التفت بظهري للمقلة، ووجدتها محترقة تمامًا، ارتعبت من الموقف، وشعرت بالخوف، أين عم ابراهيم، كان يحدثني مُنذ لحظات، فنظرت للرجل مرة أخرى، وكدت أنطق بسؤالي الأول، لكنه اختفى من أمامي هو الآخر، عدت للمنزل، وتذكرت فارس صديقي، قد نسيته في المطعم بعد ما حدث، وعندما عاد هو الآخر، كان غاضبًا لتركي إياه وحيدًا، وعدم دفعي ثمن الطعام، ولولا وجود بعض المال في فيزته الخاصة، لكان يمكث داخل المحل حتى الآن يغسل الصحون، حيث أنه ترك هاتفه في المنزل، ولم يستطع الاتصال بي كي أعود ببعض المال، ضحكت عليه وعلى ذلك الموقف المحرج، فاعتذرت إليه، ورويت له كل ما حدث معي، من تركي

للمطعم، وذهابي لمقلة عم إبراهيم، في البداية ظهر الخوف على وجه فارس، لكن بالنهاية أخبرني بأن كل ما يحدث لي، ما هو إلا حرب من حروب الشيطان، يريد منها أن يبعدني عن أقرب الأشخاص لي، كي يستطع تنفيذ خطته دون شيء يعوقه، ويفسد عليه مُتعته في إفساد حياة البشر، وأنت منهم.

اقتنعت بما قاله فارس، خاصة أنني تذكرت ما فعله الشيطان بي السنوات الماضية، وعلى الرغم من ذلك لم أعرف الهدف من وصولي هنا حتى الآن، قد قلّت كوابيسي، والرؤى الملعونة، حتى صوت الطبول لم أسمعه.

ساعات وجاءت إجابة سؤالي عن سبب وجودي هنا، عندما غطس فارس في النوم، وكالليلة الماضية، خرجت استنشق بعض الهواء، وجلست على رمال البحر، وعلى غير العادة وجدت شخصًا غريبًا جلس جانبي، ربع أرجله، ونظر إلى البحر وهو يقول بصوت هادئ:

-تقرأ في أعينهم الخيانة، وتعطيهم فرصة كي يثبتوا العكس، لكن الطبع غلاب.

نظرت إليه وأنا مُندهش، فكانت ملامحه أوضح، شخص مُلتحي، يلبس جلبابًا، عينه سوداء تلمع مع ضوء القمر، وجسده نحيل نسبيًا:

-أتكلمني؟

نظر إلىّ، وأجاب عليّ وهو مبتسم:

-البحر... أتكلم مع البحر، ورائحة اليود ترد عليّ.

في تلك اللحظة تأكدت أنني أجلس بجانب رجل مخبول يحدث البحر، فحاولت تفادي الحديث معه، وأخذت النوم حجة كي أهرب منه، وعندما قُمت من أعلى الرمال، أمسك يدي وقال:

-اجلس يا أمير، أمزح معك، كنت أحدثك أنت.

جلست مرة أخرى بدهشة وقُلت:

-من أين لك أن تعرف اسمي؟

-أبوك.. كم أفتقده، كنا نجلس بالساعات كما نفعل الآن، ونحتسي بعض الشاي من يد والدتك، لن أنساهما، مُنذ وفاتهما وأنا أفتقد الجلوس معهما بشدة.

لم أتذكر شيئًا مما قال، فكيف لي أن أنسى شخصًا مثله، على الرغم من أن مجيئي هنا في المرة الأخيرة يسمح لي بتذكر الأشخاص بالتفصيل، كالعم إبراهيم، وغيره من الأشخاص، قاطع تفكيري بكلماته وقال:

-من الممكن أن تنسى، لكنني أتذكر جيدًا أباك، وأتذكر حديثنا المطول عنك، وعن قلبك النقي، أنت فتى صالح، تحب الخير لغيرك.

ابتسمت وقُلت:

-مُنذ أن وصلت إلى هنا، والجميع يتحدث عن قلبي النقي،

علامة من علامات الموت تلك.

-وارد.

نظرت إليه بتعجب، فأكمل مازحًا:

-أمزح معك، أنك فتى صالح، وصغير في السن.

شعرت بالأريحية في الحديث وقُلت:

-مَن أنت، وفي أين بيت تسكن؟

شاور على بيتي وقال:

-أسكن هناك، ببيت مطروح، ذلك ما سميته.. ومَن أنا؟.. أنا وحيد، صديقك، أنصحك بالابتعاد عن أصدقائك، خاصة فارس، هو يريد تلويثك، أما الآن فحان وقت عودتي، انتهى دوري، وأنت أيضًا، عُد إلى القاهرة، هناك مَن ينتظرك.

في لحظة أغمضت عيني فيها، اختفى وحيد من أمامي وسط ذهول ورعب، فكيف له أن يسكن في بيتي؟! وكيف له بمعرفة فارس صديقي؟! وأين اختفى في تلك اللحظة؟!.. وكالعادة مُنذ أن أتيت إلى هنا، وهناك أحداث مريبة تحوم حولي تريد اقتلاع رأسي، فعدت إلى المنزل وأنا مغموم مما يحدث لي في يومين مطروح، والألغاز التي عيشت فيها، فنِمت نومًا عميقًا، لم أحلم فيه بشيء غير ضوء أبيض في منتصف غرفة مغلقة، وصوت طبول يظهر فيها من بعيد اختفى تدريجيًا، وعند ما أفقت من النوم، سمعت صوت فارس يتحدث في الهاتف كي يطلب بعض الفطور لنا، فقولت

له يُجهز حقائبه كي نتحرك بعد ما نفطر، في البداية انزعج مني، لكنه علم بأن دورنا هنا انتهى، على الرغم من أنني لم أفهم شيئًا، لكن هناك شعور ما يخبرني بالصالح، وهو الرجوع إلى بيتي مرة أخرى، وهناك من سيرشدني.

أتى الفطور وجلّست مع فارس على المنضدة، أكلنا سويًا، ثم جمعنا الحقائب في السيارة، وبقي البعض منها في الداخل، فتطوع فارس كي يأتي بهم، وأنا انتظرت بالخارج، وقبل أن يأتي بالحقائب وجدت وحيد مرة أخرى، حذرني من فارس، ومن ألاعيب إبليس، لن أنكر خوفي من نصائحه، ووقت ظهوره لي، لكنه أنهى حديثه بجملة منطقية، هي الحذر من كل مَن حولي، حتى هو فالحقيقة ستظهر قريبًا.

أنهى وحيد حديثه، واختفى قبل أن أغلق عيني، ووجدت فارس بدلًا منه أمامي، يحمل باقي الحقائب ويضعهم في السيارة:

-ماذا دهاك يا صديقي، بماذا أنت شارد لهذه الدرجة، الطريق طويل أمامنا، وأنت مَن ستقود، أنا أريد الراحة.

ابتسمت في وجهه، وركبت السيارة وأنا أقول:

-أنسيت مَن هو أمير الراوي، محركات السيارات تخاف مني، ومن قيادتي المجنونة.

ركب هو الآخر، ولكن في المقعد الخلفي، ووضع قبعة سوداء على وجهه وهو يقول:

-يؤسفني عدم متابعة السباق تلك المرة، أنا مُنهك للغاية، ولكن إبليس سيتابعك كالعادة.

قبل أن أتحرك جاء سؤال رنان في رأسي، فنظرت إلى فارس، ونزعت القبعة من وجهه وقُلت:

-ألا تخف أن يقتلنا إبليس في حادث، ذبابة صغيرة في منتصف طريق سريع تُعجل من موتك.

التقط القبعة مني، وأعدها مرة أخرى وهو مستاء مني:

-لا طالما خاف إبليس من طاقة النور التي بدخلك، والتي تغذيها بأعمالك الخيرية، وقربك من البشر، لا تفسدها بكلماتك الملوثة للآذان، تذكر الله، هو الوحيد القادر على تحديد مصيرك، وإبليس سيبقى دائمًا التابع.

التفّت مرة أخرى لزجاج السيارة، وأخذت نفسًا عميقًا وأنا أشكر الله على نعمة الكثيرة لي، وضغط على دواسة البنزين بهدوء شديد، واتبعت الطريق حتى وصلت إلى بيتي في القاهرة سالمًا، ومريم كانت تنتظرنا أسفله، من الواضح أنها تلقت رسالتي وأنا على الطريق الدائري، كي تقابلني في المنزل لنتحدث قليلًا عن السفرية، وأحداثها المريبة، وقبل أن نجلس على مقهى المصريين كالعادة، أيقظت فارس من غيبوبته التي استمرت طوال الطريق، وطلبت منه حمل الحقائب والصعود بها، أما أنا سأذهب قليلًا مع مريم، لم يعترض فارس لشعوره بالنعاس، فتركت له الحقائب على الرصيف، وتحركت مع مريم إلى النيل، حتى وصلنا المقهى،

وجلسنا على المنضدة المفضلة لنا على النيل، وقبل أن تتحدث مريم وتسألني عن شيء، بدأت بروي كل ما حدث معي بمطروح، إلى موقف وحيد وتحذيره لي لكل مَن حولي خاصة فارس صديقنا، فردت مريم عليّ رد غير متوقع:

-احذر منه، فهو يعيش معك الفترة الماضية، وقادر على الغدر بك في أي لحظة، لا تأمن لأحد، حتى وإن كان صديقك المقرب، إبليس قادر على الظفر بولاء جميع المقربين للفريسة، حتى وإن كان أنا.

-والأحلام التي اختفت بمجرد وصولي مطروح، أهي مصادفة، أم مُخطط جديد يفتعله الشيطان كي يقضي عليّ.

-أحلامك توحي بأن الحقيقة قد اقتربت، تمالك نفسك، وسأحاول أخذ معاد جديد مع شيخ آخر كي يساعدنا.

في تلك اللحظة شعرت بصداع شديد تملك رأسي، وتشنج جسدي بالكامل، أغمضت عيني كي أريح جفوني من صراع البقاء مفتوحتين، فرأيت وحيد أمامي وهو مُقيد بسلاسل حمراء كجمر النار، كان مُبتسمًا دون ذرة شكوى، نظر لي وهو يحترق، ويسيح كالحديد أمامي، وبلحظة عاد كما هو، كي تُعاد العملية مرة أخرى، من الواضح أنه قد تعود على الألم، ولم يصرخ من صعوبة ما يحدث فيه، بل يضحك وهو يقول لي بابتسامة مُجهدة لمقاومة ما يشعر به:

-تلك البداية، سيفقدونك سلامك النفسي، غد إلى المنزل، أو ابقَ هنا وسيأتي مَن يساعدك، ولا تصدق أحدًا، حتى هو في

بعض الأحيان سيكون تحت سيطرة الشيطان، اجعل قلبك هو دليلك، والنور الذي بداخلك الوسيلة للفوز على ألاعيب إبليس، لا تكن مثلي، كُن حُرًا، كُن عابدًا لربك....

لم يكمل الجملة، إلا واحترقت عيناه أمامي، وازداد المكان سخونة حولي، وصوت صرخته انفجرت من داخله، حاولت الهرب، لكن النيران كانت أسرع مني، وابتلعتني في داخلها، وعندما فتحت عيني مرة أخرى، وجدت مريم أمامي، كانت تحدق فيّ، وبيدها اليمين لمست جفني وقالت:

-يجب أن تعود للمنزل، درجة حرارتك عالية للغاية، لقد نمت وأنت جالس أمامي، وحاولت إفاقتك عدة مرات، لكنك في عالم موازي، لا ترد عليّ حتى.

لم أكن قادرًا على الكلام، وكنت أشعر بحرارة شديدة تخرج من جسدي، كبركان انفجر بداخلي، فتركت سيارتي بجانب المقهى، وغدت إلى المنزل بسيارة أجرة، وعندما تأكدت مريم أنني صعدت إلى المنزل، اتصلت بفارس أخبرته بجلب طبيب لي، ورحلت هي الأخرى إلى منزلها، كي لا تتأخر على والديها، وعندما فتحت الباب، لم أجد فارس، فكان المنزل فارغًا تمامًا، وجميع الحقائب كانت مفتوحة، ومتروكة على الأرض، حتى أغراضي لم تكن كاملة داخل الحقائب، حاولت البحث عن الفارس، لكن جسدي كان يحترق، فجلست على فراشي وأنا أتألم بشدة، وغبت عن الوعي تدريجيًا، وعندما أفقت مرة أخرى، وجدت نفسي في غرفتي، وكل شيء على ما يرام، من الواضح أن الليل كان قد حل علينا لظلمة

الغرفة، فقمت من فراشي وأنرت الغرفة، ووجدت فارس أمامي يحدق فيّ، كانت عيناه حمراوان، وأسنانه مدببة كسن شيطان أو أسد مفترس أمامي، رجعت عدة خطوات للخلف وأنا خائف، وطلبت منه أن يبتعد عني، فلم يصغِ لي، بل اقترب أكثر فأكثر، نظرات عينه تدل على شر لم أضعه في الحسبان، فتذكرت كلمات وحيد في تلك اللحظة لكن بعد فوات الأوان، فهجم عليّ، وافترسني كأسد جائع دون أي عناء، وقبل أن أفقد الوعي نظرت إلى عينه للمرة الأخيرة، وتأكدت أنه لم يكن فارس صديقي، بل نسخة مظلمة منه، تلقت بعض الأوامر السوداوية كي تنفذها، وهي قتلي بدم بارد.

أفقت للمرة الأخيرة وفارس أمامي يحدق فيّ، كانت الدموع تسيل على خديه، قُلت له بهدوء:

-لمَ الدموع يا صديقي، أنا لم أمت بعد، فكانوا يخيفوني مِنك ليس إلا، أنا أعلم جيدًا بأنك لن تقتل صديقك المقرب.

-لكنني سأقتلك يا صديقي، هو من طلب مني ذلك، وإلا سيقتلني.

نظرت على يديه اليمين، ووجدت بها سكينًا كبيرة، فطلبت منه أن يهدأ قبل أن يرتكب جريمة بشعة مثل هذه، لكنه اتخذ قراره، وصوب السكين نحوي، فتفاديتها وأمسكت يده اليمنى، وأفلت السكين منها، حاولت تهدئته، لكنه ظل يبكي وهو يحاول أخذ السكين من أعلى الفراش، فمررتها بعيدًا

عن نظره حتى وقع أمامي وهو يرتجف من الخوف، ويطلب مني المساعدة، أخبرني أنه قد حاول العديد من المرات الابتعاد عني، لكن العقد كان صريحًا، تنفيذ الأوامر، وبالنهاية العيش في نعيم لا متناهي عند تنفيذ المُخطط. من الصدمة انعقد لساني، لم أستطع التعقيب على حديثه حتى لكنه أكمل حديثه وقال:

-أعلم ما يدور بداخلك، متى؟.. وكيف؟.. قبل أن أنتهي من الثانوية العامة، كنت أعيش حياة جافة، أسرق المال لكي أحجز بعض الحصص الإضافية، وأنام جائع كي أشتري كتابًا جديدًا به بعض الاختبارات الإضافية، وبالنهاية وجدت نفسي بمجموع لا يليق بنصف مجهودي، فبكيت كالطفل الصغير، ولم يسمعني أحد حتى أكملت طريقي لدخول كلية التجارة، ورأيت المال في يدكم جميعًا.. إلا أنا، أخاف من شراء طبق من الطعام، يجعلني أنام باقي الأسبوع جائعًا دون عشاء.

قاطعته وقُلت:

-هناك العديد من الوظائف لشاب مثلك، وستكون سببًا في معيشة مريحة لشاب يعيش وحده.

-حاولت، وطردت العديد من المرات، وكانت الأسباب تافهة من أصحاب عمل جشعين، فعلمت أن الحياة ضدي، وقررت أن أنهيها بيدي شنقًا، وقبل أن ألقى نفسي من أعلى كرسي حديدي في منتصف الصالة، وجدت شخصًا أمامي واقفًا ويبتسم، من المفاجئة ألقيت نفسي من أعلى الكرسي دون

قصد، فرأيت أحداث كثيرة مؤلمة تحوم حولي، وقبل موتي، أنقذني ذلك الشخص المدعو وحيد:

-وحيد!!

-نعم، هو من ظهر لك في بيت مطروح، وهو من أنقذني وعرض عليّ العيش الباقي من حياتي في نعيم بعد تنفيذ المخطط، في مقابل القضاء عليك، لكنك أقوى مما كنت أتخيل، طاقة الخير التي تحوم بداخلك، تحميها طبقة من النور الصعب اختراقها، وذلك ما جعلني أتقرب منك بجدية، دون مُخطط أو غيره، وحاولت العديد من المرات إنقاذك من ألاعيب وحيد الذي يظهر لي كل مرة كي أحاول إيقاعك.

-لكنني أحببتك كأخي.

-في البداية تقربت منك كي أرضيهم، ومع الوقت ندمت على عدم وقوعك في طريقي قبل قبولي العقد، لكنك أقوى مني، وستفوز عليهم، كل تلك المدة حاولوا إيقاعك في العديد من الفخاخ، لكنك نجوت منها عن طريق قلبك، اتبع قلبك يا صديقي.. اتبعه.

أنهى فارس حديثه، وبحركة سريعة حاول أخذ السكين لكي يقتلني، وبالفعل استطاع الاستحواذ عليها، وكانت السكين قريبة من رقبتي كي ينحرني بها، فأغمضت عيني وأنا بانتظار ملك الموت كي يقبض روحي، استمررت لحظات وأنا مغمض عيني، فسمعت صوت حشرجة الموت، وسائل ساخن يسيل على وجهي، فتحت عيناي مرة أخرى، ووجدت

فارس أمامي والسكين في قلبه، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة قال:

-سامحني يا صديقي.

اغرورقت عيناي بالدموع، صديقي المقرب مات أمام أعيني دون أن أفعل له شيء:

-أسامحك يا صديقي، هم ملعونون ويلقون لعناتهم على الآخرين.

ارتجف جسدي من الخوف والحزن، وخفق قلبي بسرعة شديدة، أشعرتني بأنه سيتوقف عن العمل، فقومت من أعلى الأرض بتوجس وأنا أزيل الجثة من أعلى جسدي، واغتسلت ثم بدلت ملابسي، وتركت المنزل تجاه مكاني المفضل، على ضفاف النيل، أفكر فيما سأفعل، مات صديقي المقرب وهو يحاول إيقاعي الفترة الأخيرة، فباتت الرؤيا ضبابية أمامي، كيف لي أن أثق بأحد بعد ما حدث لي من صديقي المقرب؟! وفي تلك اللحظة هاتفي اهتز، كانت مريم تتصل بي، لم أرد عليها، بل أغلقت الهاتف وجلست على كرسي وأنا أنظر للنيل أفكر بما سأفعل الفترة القادمة، فهناك ما ينتظرني من مخططات الشيطان، وسريعًا ما رأيت الشيطان بعينه، شخص عاري تمامًا يلقي بنفسه في المياه، ويشرب منها كالحيوان، نظرت حولي فلم أجد غيري مَن يشاهده، فناديت عليه بصوت عالٍ:

-يا صاح، أخرج من هنا، هناك العديد من صنابير المياه.

نظر لي وسرعان ما تبدلت ملامحه، من ملامح هادئة، إلى ملامح غاضبة تريد قتلي، فاقترب مني بوجهه المجون، وعندما نظرت في أعينه تذكرت هذا الشخص الذي يظهر لي في أحلامي كي يقتلني، فقد رأيته على ضفاف النيل عن قرب، وقبل أن يقتلني، أفقت وأنا على ضفة النيل سالم، وها هو يحاول قتلي مرة أخرى عن طريق الخنق، وتلك المرة على أرض الواقع، أما أنا لم أنطق كلمة واحدة من الصدمة، فتخشب جسدي وأنا أنظر إليه بتوجس، وكانت عيني تطلب منه الرحمة، مما جعلته يتوقف عن خنقي، ويتحدث معي للمرة الأولى بحذر:

-مَن أنت؟ ولمَ تحاول قتلي في جميع الرؤى التي أراها؟!

انفكت العقدة المعقودة بلساني، ونطقت للمرة الأولى وقُلت:

-قتلك!!

الفصل التاسع(إبليس)

بعدما هرب أريس من الكهف، خاف أوسر من عودته، فطالما كان أوسر يخاف منه، لذلك سرعان ما استدعى إيما للبيت البلوري كي تخبره بموضع أريس.

لم تمر لحظات إلا وجاء الحراس بإيما، ومعهم لورين رئيسة الحرس، فقد عادت بعض الأمور لطبيعتها في الكهف برئاسة الكبير أوسر الذي بادر بالحديث وقال:

-أين أريس أيتها المخبولة؟

ضحكت إيما بهستيرية جعلت أوسر يصفعها على وجهها:

-أخبريني قبل أن أقتلك، واصنع لكِ حفرة أسفل قدميكِ تنامي فيها الليلة.

-أتخاف منه لتلك الدرجة؟

-أنا لا أخاف من شخص ضعيف مثله، فمَن يتبع مشاعره ضعيف، مثله مثل بشر السطح.

-خائف، والخوف يظهر في أعينك.

اقتربت منه، واشتمته وهي تكمل حديثها:

-أشم رائحة خوفك أيها المتعجرف الفاسق.

صفعها مرة أخرى، ولكمها على وجهها، ومن قوة اللكمة سقطت إيما أرضًا وهي تضحك، ولا تبالي ما يحدث لها، مما أدى لتدخل لورين:

-هي لا تعلم شيئًا عن أريس.. أريس هرب من الكهف، والشيطان الوحيد القادر على تحديد موضعه.

نظر أوسر لها، وأردف بخوف:

-إن عاد سيقتلنا، من المؤكد أنه لن يعود وحيدًا، سيعود معه مَن سيقتلنا جميعًا.

قاطعتهم إيما، وبصقت على وجه لورين وهي تقول:

-كنت أعلم من البداية نوياكِ أيتها الخائنة، ابنة الرجل بائع الديدان، وبائع جسدك إلى رجال الكهف.

أثارت تلك الكلمات أوسر، وأمسكها من شعرها وهو يصرخ:

-اخرسي أيتها المخبولة، صاحبة الجسد النحيف، سأسجنكِ داخل البيت الصخري حتى يعود أخوكِ، كي أقتلك أمام عينه.

أردفت الثانية برياء:

-إن عاد وأنا حية سيقتلك أمامي، وسأبصق على وجهك المرتعش، قبل أن تدفن في حفرة أسفل قدمك، لذلك اقتلني قبل أن تعيش تلك اللحظة.

الغضب أعمى أوسر، وأمسك رقبة إيما حتى أودى بحياتها، وقالت وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة:

-سيعود، وسيقتلك أنت ومَن بيع جسدها للعشيرة.

أغلقت إيما أعينها، وتوقف قلبها عن إخفاق الدماء، وقال أوسر بغضب:

-سأريكِ مَن بيع جسده أيتها الفاسقة.

حملَ أوسر جثة إيما، ونزع منها روبها الحريري، وخرج من البيت البلوري، وجاهر بصوته بين أفراد عشيرته وهو يلقى بالجثة وسط الكهف:

-فريسة نحيفة، لكنها لذيذة من بيت كبيركم السابق.

ترك أوسر الجثة وسط الكهف لأفراد العشيرة، وعاد للبيت البلوري حتى جاءته الأخبار بما حدث للجثة، فطلب أخذها وتركها بحفرة بعيدة داخل الكهف، وعندما غادر الحرس، أكمل ليلته بمداعبة لورين، التي حذرته بما سيحدث له نتيجة فعلته وقالت:

- بفعلتك المشينة تلك، سيثور علينا أفراد العشيرة قبل أن يقتلنا أريس بعد عودته.

أسكتها أوسر، وطلب منها الراحة، كي يقضيا ليلة سعيدة معاً، فغدًا يوم مُرهق للغاية.

في اليوم التالي، بعد ما استيقظ أوسر، لم يجد لورين جانبه على الفراش، فنَهض من فراشه وارتدى روبه الأسود، واتجه إلى المعبد كي يزور الحكيم ليناقشا وقت النهاية، فتحرك أوسر إلى المعبد وعندما وقف أمامه ظل لثوانٍ معدودة ينظر إلى المعبد بخوف، بينما الحكيم ينتظره في الداخل:

-أنتظرك في الداخل يا كبيرنا.

سمع أوسر كلمة كبير، وتملك الخوف قلبه، فتذكر أريس وما فعله به، مما جعله يتشتت ويقلق من الحكيم والشيطان، فزاد قلقه عندما رأى الحكيم وهو متحجر أمامه، وأحشاؤه تنفتح من تلقاء نفسها كي تريه السحر المحفوظ بداخلها، فلمعت عيناه القلقة، وقال بتوجس:

-اكتمل السحر؟!

أردف الثاني:

-غدًا سيكون يوم عظيم، غدًا سيكتمل السحر، قبل أن يهيج علينا أفراد القبيلة بعد ما فعلت ليلة البارحة، فشهد ضوء البلورة الخافت عليك، وعلى ما فعلته في ابنة شمشون، وحبيبتك إيما.

-لا تقل حبيبتك، إيما جزء من المخطط ليس إلا، وقد نجحت فيه.

-لذلك تركتها فريسة سهله لأفراد القبيلة كي يلهوا معها كما يريدون؟

نظر أوسر في أعين الحكيم المتحجرتين، ودنا منه وهو يقول:

-كانت تستحق العناء في موتها بعدما أهانت حبيبتي لورين، فقد عايرتها بماضيها مع أبيها المخبول.

غضب الحكيم، وقال بصوت اهتز منه المعبد:

-بشر... هم ما يزالون بشر، قد وجدوا ضعفك فيك، وأنت

ترمي حبيبتك بعد حفل ارتباطك بوقت قصير كي يلتهموها، بينما أنت تلهو مع فتاة الكبير السابق، فقد انكسر حاجز الخوف بينهم وبين لفظ الكبير، وقائد العشيرة مُنذ القدم، وأعطيتهم المبرر لقتلك أنت ولورين، ولن يستطيع أحد من الحرس إنقاذك، هم مُجرد مرسال داخل الكهف.

-وأين شيطانك وولي نعمتك من كل هذا؟.. أسيتركني فريسة سهلة؟

-إبليس جائع، ينتظر لحظة القضاء على سكان السطح مُنذ القدم، وإن أفسدت لحظته، لن يكفيه قتلك، فهناك طُرق أصعب في الجحيم ستعيشها معه.

-جبان، وسيظل جبان، إن كان بكل تلك القوة الجبارة، والسلطة المهولة، لما فشل في إغراء سكان السطح، وأنجح مخططه بنفسه، لكنه يحتاجني مثل ما أنا أحتاجه، وأنت بالخصوص ستركع تحت قدمي كي أساعدك، بعدما وثقت في وحيد، وزرعته بيننا، وعندما عاد لخالقه، حاول ولي نعمتك إيقافه، ولم ينجح بشكل كامل، وبينما نحن نتحدث الآن، فوحيد يساعد أمير كي يقتلنا جميعًا، ومساعدة أريس له، ستكون الضربة القاضية لنا.

زادت حرارة المعبد، وتعرق جسد أوسر من الخوف على ما هو مقبل عليه من مقابلة الشيطان، فظهر له إبليس على هيئته الحقيقة، كان كأسد على هيئة بشري، وجسده يميل للاحمرار، ويطوف عن الأرض ببضع سنتيمترات معدودة،

وهو ينظر لأوسر بهدوء رغم ملامحه المرعبة والمربكة للأبدان، فكان أوسر يقف أمامه وهو صامت، ويبتلع ريقه بتوجس، وكسر حاجز الصمت بينهم إبليس وهو يقول:

-أشم رائحة خوفك مُنذ ولادتك، مثلك مثل باقي أفراد العشيرة بإفراد العائلة، إلا شخص واحد هو مَن وقف أمامي بقلب جامد، ومشاعر بشرية خالصة، هو أريس صديقك، لكنه هرب، وأقبل على وجهة جديدة مع أمير، لكنني لا أكترث له، بل لمخططي الذي بنيت فيه سنوات عديدة كي أملك الأرض وما فيها، ولا يوجد شخص في تلك الغرفة يستطيع مساعدتي غيرك.

ظل أوسر صامتًا لا يتحدث، وإبليس ينتظر الرد عليه، فدنا منه الثاني وهمس في أذنه:

-إنني أستطيع قراءة عقلك أيها المخبول، وأعلم ما يدور داخل تلك الجمجمة الملعونة من أفكار خبيثة، وأسئلة سأقتلك عليها.

شعر أوسر بسوء الموقف حتى وإن أخذ الصمت سبيلًا له، فأردف خائفًا:

-إن كنت تملك كل تلك القوى المهولة، لمَ لا تنفذ مخططك دون مساعدتنا؟! أتعلم لماذا؟

قبل أن يكمل أوسر ما بدأ، قاطعه إبليس بهدوء:

-لن ينقذك، ولن يسامحك على ما اقترفه أجدادك مُنذ القدم،

فلا يوجد حل أمامك غيري، أنا ملجأك، وصديقك المُقرب، ساعدني وسترى حياة جديدة على السطح من شهوات الدنيا وملذاتها.

-وهل لي أن أصدقك؟

-لا، فأنا أستطيع قتلك الآن قبل الغد، لكن كلمة إبليس عقد، كالعقد الذي تعيش في نعيمه الآن دون قطرة مياه واحدة تخطت الكهف.

أردف الحكيم:

-استمع إلى وليّ نعمتك، هو على حق، فالمرة الأولى التي رفضت الاستماع فيها إليه، طُعنت في ظهري.

لم يكن أمام أوسر شيء غير القبول، فأنزل رأسه، وجثا على ركبتيه، وطلب من إبليس العفو كشخص يقتلع الجزء الباقي من قلبه خارج جسده، فقبل إبليس العفو، وطلب من أوسر الراحة ليوم غد العظيم، فترك أوسر المعبد بقلب مُتحجر كقلب الحكيم، وعاد إلى البيت البلوري كي يسترخي قبل اليوم المنتظر.. يوم الوعد. شعر أوسر بشيء يشتبك به من الخلف، فنظر إليه، ووجد لورين تحتضنه وهي تشكره على ما فعله لها، لكنها لاحظت شيئًا غريبًا بجسد أوسر، فالرعشة الخفيفة التي كانت تشعر بها عندما تحتضنه اختفت، وأصبح جسده باردًا، فخافت لورين منه، وأن يكون مَن احتضنته هو شخص آخر غير أوسر بذات الملامح، وعندما أخبرته لورين بما تشعر، ضحك عليها أوسر، وأخبرها بما حدث، وأنه ينصاع

لكلمات إبليس وليّ نعمته، أما الآن هو سيرتاح قليلًا، ويريدها أن تريحه على الفراش، وافقت لورين خوفًا من ملامحه المتجمدة.. مضى الكثير من الوقت قبل أن يأتي أحد الحرس ليخبر أوسر بمصيبة كانت تنتظره، فهناك من يجاهر بصوته أعلى الدرج القديم، درج سيراط الكبير.

الفصل العاشر(دماء طاهرة)

أخبرت الشخص العاري أمامي الحقيقة بأنه مَن يحاول قتلي في كل أحلامي، ليخبرني بأن إبليس هو مَن زرع فينا رؤى كاذبة كي يعطلنا، وبينما نحن نتحدث الآن يتم تحديد وقت تنفيذ المخطط، فيوم الوعد قد اقترب، مما جعلني أتهمه بالجنون، وأنه غير سوي نفسيًا فيما يقول، حتى أخبرني بحقائق عني، لا أحد يعرفها غيري، لكنها لم تكن كافية لثقتي به، فأخبرني عن معرفته بأكثر شخص غامض رأيته في حياتي، وهو وحيد لغز بيت مرسى مطروح، مما جعلني أعرض عليه الذهاب لمنزلي كي أعطيه بعض الملابس، فكان من الصعب لي النظر له، وحتى يروي لي كل الحقيقة عن وحيد، والمخطط الذي تحدث عنه، فسرعان ما قبل دعوتي، وعدت إلى المنزل وهو بصحبتي، وقبل أن أفتح باب المنزل، تذكرت جثة صديقي المقرب الملقاة أعلى فراشي، فارتجفت يداي من تذكر الموقف، وطلبت من الشخص العاري الذهاب إلى موضع آخر، فاعترض على طلبي، وأصر على فتح الباب، وأردف غاضبًا:

-لا أعلم كيفية فتح هذا الموضع، لكنني أشتم رائحة دماء في الداخل، تدعوني لكسر الباب حتى أفهم الحقيقة.

لم ينتظر ردي عليه حتى، وكسر الباب بقبضه واحدة، وتمشى للداخل تجاه غرفة نومي، موضع تركي فارس ملقى على الفراش، وعندما أزاح باب الغرفة بيده، لم يجد شيئًا

يدعو للقلق، فكل شيء في الغرفة نظيف، وعلى الرغم من راحتي النفسية، لكنني ارتعبت من إمكانية تسلل أحد للداخل، وإخفاء الجثة كي يهددني بها، وقبل أنا أخبر الشخص العاري أمامي بالحقيقة قال:

-أريس، أدعى أريس، كبير كهف الخلاص، وعشيرة الوعد.

لم يعطِني فرصة كي أخبره باسمي وأكمل حديثه:

-أمير الراوي، ذو الدماء الطاهرة، والقلب ناصع البياض.

-كيف لك بتحدث اللغة العربية بطلاقة؟

-هبة لعائلة الكبير ونسله، نتحدث منها بكل لغات العالم، فهناك العديد منها..

تذكرت أنه ما زال عاريًا أمامي، فألقيت له بعض الملابس من الدولاب جانبي، وعندما ارتدى الملابس، رويت له كل ما حدث لي مع فارس، وعندما انتهيت من حديثي، ضحك أريس عليّ، وعلى سذاجتي التي عاش فيها سنوات:

-لقد عشت مع وليّ نعمتي إبليس سنوات عديدة، رأيت فيها ألاعيب كثيرة كرؤيتك وأنت تحاول قتلي، مثلها مثل صديقك، فهو سراب عاش معك تلك السنوات، روح كانت تطوف حولك، لكن في نهاية مهمتها، تحولت لروح طاهرة كما كانت قبل موتها، وقتلت نفسها بدلاً منك.

صُدمت من حديثه المنطقي لكل ما يحدث حولي وعقبت عليه:

-جميع اللحظات التي عشتها مع فارس، كانت أكذوبة كبيرة عشت فيها مع الشيطان؟!!

-لا تنظر إلى الجانب السيئ من القصة، فهناك جانب مُشرق يؤكد نصاع قلبك، هو إرشاد الروح إلى الطريق الصحيح، رغم العقد التي عقدته مع إبليس، وبدمائك الطاهرة تلك، تخافك الشياطين ورئيسهم إبليس.

-دمائي؟!

لم يلتفت إليّ وأكمل حديثه عن وحيد، وعن علاقته مع حكيم مُتحجر داخل معبد بكهفه الصخري، وأنه من عدة عقود تقرب الحكيم من أحد سكان السطح، كي يساعدنا في المُخطط عن طريق تواصل العقول، كل ذلك دون علم إبليس، لكن سرعان ما عرف إبليس بصلة الحكيم مع وحيد، وعندما واجه الأول هدده بخطورة ما يفعله، استطاع الحكيم تهدئته وقتها، وأخبره بما فعله وحيد ليخدم المُخطط، وأنه عين أخرى على السطح، يزرع الخراب على الأرض عن طريق أعماله السفلية الملعونة، فهو أشهر ساحر بالمنطقة العربية، ويأتي له الصفوة كي يساعدهم في زيادة شهرتهم بين مجتمعهم، دون أن ينتهي الحكيم من حديثه، ضحك إبليس عليه، حيث أن إبليس هو مَن يساعد وحيد وغيره في نشر السحر والفساد، وبدونه لن يستطيعوا الوصول لمكانتهم الآن، فهو يعرف وحيد جيدًا، ويرى في قلبه ظُلمة تروق له، وهنا كانت النقطة الفاصلة لترك وحيد خارج حسبان الحكيم، وعلى الرغم من معرفة وحيد المخطط، لكن الشيطان كان

له بالمرصاد في كل مرة حاول إخبار أحد بالسر، ومر الزمن حتى زادت سلطة وحيد، واستطاع معرفة موضع الكهف بالتقريب، ذلك عن طريق تواصله مرة أخرى مع الحكيم، فقرر أن يشتري بيت مرسى مطروح، هو قريب من الكهف، وسرعان ما عرف الشيطان بما فعله الحكيم، وقرر قتل صديقه البشري، وعندما علم وحيد بما يخطط له الشيطان، ابتاع منزل مرسى مطروح، وحصن روحه جيدًا، ومات داخل المنزل في ليلته الأخيرة فيه، لكن روحه ما زالت تحوم بداخله، وبالنهاية بيع المنزل عدة مرات حتى اشتراه والدك، وعلى الرغم من محاولة وحيد مساعدتك، إلا أن الشيطان يرغمه على إخبارك بعض الأكاذيب كي تضل طريقك، وها أنا هنا كي أساعدك للقضاء عليهم..

أكمل أريس حديثه عن المخطط، وعن سلطته على الأرض، وعلى الرغم من ذلك إلا أنه يريد القضاء عليهم، مما جعلني أقول له:

-ولمَ تريد مساعدتنا وسط كل ذلك النعيم؟

أجابني بابتسامة هادئة:

-قلبي.. قلبي يخبرني بأنني عشت حياة خاطئة، وأريد أن أعيش في نعيم السطح دون قطرة دماء واحدة، والقضاء على إبليس، على الرغم من استحالة ذلك مني.

-وما المطلوب؟

ابتسم وقال:

-سنتحرك الآن إلى الكهف، وهناك ستعرف كل شيء.

-وأين يوجد كهفكم؟

-سنذهب إلى مرسى مطروح، وسنعرف الطريق حينها.

-لا أريد التشكيك فيك، لكنك واعٍ بما تقول؟!

وضع يده على كتفي، وقال وهو يبتسم ابتسامة هادئة:

-كل ما مررت به إلى الآن لم يُعلّمك شيئًا؟... كهف الخلاص يختلف عن أي شيء رأيته أنت في حياتك، هناك سترى بشر تغيرت طبيعتهم على طبيعة إبليس.

-وما علاقة ذلك بالوصول إلى الكهف؟

-علاقة بسيطة، وهي أن الوصول إلى الكهف يكون عن طريق بوصلة بداخلك، ستشعر بها كلما اقتربت منه، ولا تضيع الكثير من الوقت، يوم الوعد قد اقترب.

تحركنا إلى السيارة وقُدت إلى مرسى مطروح وأنا لا أشعر بأي شيء، كان الصمت بيننا طوال الطريق حتى وصلنا بقرب الصحراء الغربية، خرج أريس عن صمته بطلبه لي دخول الصحراء، وفي منتصف الطريق توقفت السيارة بعدما انغمست في رمال مُتحركة، وبينما أنا أخطط لإخراج السيارة، خرج أريس منها، وطلب مني أنا الأخر إكمال الطريق مشياً على الأقدام وترك السيارة هنا، لكنني رفضت تركها، فهي قيّمة وباهظة الثمن، ومن الممكن سرقتها. شعر أريس بالغضب، وقال بوجهه المجون:

-هناك شيطان ما زال يعبث بعقل عشيرتي أسفل الأرض، وقريبًا سيقتل شعبك وباقي سكان السطح، وأنت هنا تخاف على سيارتك غريبة الأطوار، فعلى الرغم من نقاء قلبك، إلا أنك ساذج لا تفهم خطورة الموقف.

للمرة الأولى تحدثت معه عن مشاعري المدفونة، فقُلت بجسد يرتجف:

-خائف، وجسدي يرتجف من الخوف، هناك ملاك هارب ينتظرني كي يقتلني في جوف الأرض، ولولا أنني خائف من جميع الأشخاص الذين يجوبوا حولي، لما كنت معك الآن.

-وحبيبتك مريم؟

صدمت من سماعي اسمها، فقد حاولت تناسيها بعد حادثة فارس:

-لا تنطق اسم حبيبتي على لسانك الملوث.

-أنت تعلم جيدًا السبب وراء سؤالي، والحل لما يدور في رأسك هو القضاء على المُخطط، والعودة إلى السطح مرة أخرى كي تتأكد من صحة ولائها لك.

صرخت من الألم في وجهه:

-أتيت معك كي لا يتألم آخرون بفقدان والديهم عن طريق فيروس لعين مثل ديلتا، أتيت معك لخوفي من ارتكاب خطأ سأندم عليه طوال حياتي، أنا لم أثق بك لحظة واحدة، لكن قلبي يطلب مني اتباعك، وبينما نتحدث الآن أنا لا أشعر

بشيء، قلبي جامد كالحجر، وجسدي يرتجف من الخوف، فأنا تائه الآن وسط صحراء داخل عقلي، أريد فيها إغماض عيني لينتهي كل شيء.

ابتسم في وجهي وهو يعطيني يده:

-أعطني يدك، وأغمض عينيك كي تعرف الحقيقة.

أعطيته يدي وأنا أنظر في عينيه التائهة، مما أدى إلى حدوث ماس كهربائي أشعل جسدي، فرأيت مكانًا مُظلمًا، وحرائق في كل الطُرق حولي، وأشخاص يصرخون لطلب النجدة، وهناك كيان مُظلم ظهر أمامي، جسده يميل إلى الحُمرة، يشبه بشري يختلط بملامح أسد غاضب، كان ينظر لي بمكر:

-انتظرت واحد منكم مُنذ آلاف السنين، ولا أظن أنكم ستفسدون مُخطط تم تحضيره كل تلك السنوات في لمح البصر.

- أشتم جيدًا رائحة الخوف التي تفوح منك.

لم أكن أنا المُتكلم، بل صوت يتحدث عني.. صوت أسمعه جيدًا كلما اقتربت من الطريق الخاطئ، فقال الكيان الواقف أمامي:

-إبليس لا يخاف... إبليس هو الخوف بذاته.

اختتم ذلك الصوت المُشتعل بداخلي حديثه بقنبلة انفجرت في وجه إبليس:

-قد اقترب الموعد، موعد خسارتك أنت وأتباعك.

في تلك اللحظة انفجرت قنبلة بجانبي، وقبل أنا أفق سمعت الصوت مرة أخرى وهو يقول:

-أنظر أسفلك، تجد الحقيقة.

أفقت مرة أخرى وأنا واقع داخل الرمال المتحركة، وأريس يحاول إخراجي، قُلت له ما رأيت، فارتسمت الابتسامة على وجهه، وأجهر بصوته وهو فرح:

-لقد أخبرتك، أنت ذو دماء طاهرة، وضمير ينبض بالحقيقة، فقلبك به نور يُرشدك لها، وتلك الرمال التي تنغمس فيها الآن، ما هي إلا طريقنا للكهف.

لم أفهم مقصدة قبل أن ينغمس هو الأخر داخل الرمال، ويتركها تسحبه داخلها، وقبل أن يختفي وسط الرمال قال:

-اترك نفسك، لا تحاول مقاومتها.

فعلت كما قال لي لقلة اختياراتي، فوجدت نفسي داخل ممر طويل، وبجانبي أريس:

-ها نحن داخل كهف الخلاص.

أنهى أريس ترحيبه، وتحركنا داخل الممر بحذر شديد تجاه ضوء يأتي من بعيد، وعندما وصلنا إلى الضوء، وجدت نفسي أمام بلورة صغيرة يخرج منها ضوء يكفي الكهف والقائمين به، وهناك العديد من البيوت الصخرية أمامي، يقيم فيها أشخاص عراة، ويظهر عليهم التعب الشديد، ذُهلت مما أرى

أمامي، فهو أشبه بحلم أعيشه على أرض الواقع، أريد أن أفيق منه في أسرع وقت ممكن، قبل مواجهة إبليس وقتله لي، ووسط تلك الأفكار المجنونة، وضع أريس يده على كتفي، وهو ينظر لي بنظرة أمل:

-أعلم جيدًا تلك النظرة التي أرها في عينيك، فهي تشبه نظرتي لعالمكم على السطح عندما رأيته للمرة الأولي، الحكيم أخبرني أن عالمكم تغير كثيرًا عن الماضي، وكان الشيطان له يد في كل خطوة تغيّر، وأنتم ساعدتموه في جميع خطواته.

-لن أقدر على إيقاف إبليس، هو أقوى مني.

-وصولك إلى هنا دليل على قوتك ضده، أؤكد لك أنك أقوى منه، فقال لي الحكيم ذات مرة: «هناك بعض البشر لديهم قلب نقي، ونور بداخلهم يخاف منه الشيطان، ولذلك يحاول الشيطان إيقاع البعض منهم حتى يستمر في ألاعيبه».. وأنت من هؤلاء الأشخاص، لا تخف منه، فخوفك يزيد من قوة قد تجعلك تزور الجحيم.

المرة الأخيرة التي سمعت فيها تلك الكلمات، كانت من أبي قبل أن يموت على يد فيروس ديلتا اللعين... أكاد أن أجزم بأن فيروس ديلتا هو مُخطط من مخططات الشيطان، والآن جاءت اللحظة التي سأنتقم فيها لوالدي... شريف الراوي.

طلب مني أريس الذهاب إلى معبد الحكيم، بينما هو سيذهب إلى الدرج القديم، درج سيراط كما يدعون، فكان سيراط يخاطب فيه أفراد القبيلة قبل أن تنتهي تلك العادة

بعد موته، وعدم اكتراث الكبير الجديد بتلك العادة، والآن جاءت اللحظة لعودتها.

الفصل الحادي عشر (درج سيراط)

اختبأت مع أمير وانتظرنا لحظة هدوء الحركة داخل الكهف، ثم تحركنا إلى المعبد وتركت أمير هناك، فاتجهت إلى الدرج وفي منتصف الطريق رآني أحد أفراد العشيرة، كان ينظر لي وهو لا يعرفني من ملابسي، فصاح بصوت عالٍ أفاق باقي أفراد القبيلة، مما جعلني أركض إلى الدرج، وهناك الكثير من الأشخاص يركضون خلفي ويحاولون الإمساك بي، لكنني جاهرت بصوتي كي يسمعوني قبل إمساكي:

-أعلم سر غضبكم مني، وأتفق معكم فيه، لكن اسمعوني قبل أن تلقوا اللوم عليّ، فأنا أريد راحتكم، وأن تعيشوا حياة سعيدة دون اتباع شيطان؛ يدعي بأنه ولي نعمة لم يعطها لنا في يوم من الأيام، بل كنا وما زلنا بيدق يتلاعب به حتى يصل إلى مُراده بالقضاء على سكان السطح، وعندما ينال ما يريد، سنكون تحت طوعه مرة أخرى، ولن نستطيع التفريق بين الحياة في جوف الأرض، والحياة على السطح، في النهاية سنعيش حياة تعيسة، نستمتع فيها بملذات مُحرمة، بينما إبليس يرانا من بعيد وهو فخور بما صنع... أجيبوني.. أين حرية الاختيار في حياتنا، وهناك مَن يخطط، ويُدبر عنا كل شيء؟ هيا أجيبوني... متى ستستخدم عقلك لتحديد مصيرك؟ متى ستتذكر أنك إنسان ذو مشاعر فضفاضة؟ كي تعرف إجابات كل تلك الأسئلة، ابحث بداخلك عن نور خافت ولدت به، ينتظرك كي تشعله حتى يضيء روحك الخاملة، فكل منا له فرصة..

أنهيت حديثي وأنا أنظر لأعينهم بتوجس، فهناك مَن آمن بداخله فيما قُلت، وهناك مَن سخر مني، لكنني لم أنتظر مَن يؤمن بكلماتي، فهدفي الأول هو إعطاء بعض الوقت لأمير كي يهرب بالسحر، وهدفي الثاني هو إشعال النور الخامل في قلوبهم، وهناك مَن صدّق على كلماتي، ووقف أمامي كالحصن ليحميني من باقي أفراد العشيرة، حتى اصطدم الطرفان مع بعضهم البعض، وكانت الأشلاء تتطاير أمامي دون ردة فعل، ووسط النزاع ظهرت لورين وهي مصدومة، فاستطعت اشتمام خوفها من بعيد، وتركت أفراد العشيرة يتصادمون، واقتربت من لورين وهي تحاول الهرّب مني، فكانت بطيئة كعادتها، ولم تستطع الهروب قبل أن أنتشلها من بين الحشد لموضع آخر هادئ، بالقرب من البيت الصخري:

-أخبريني عن إيما، وأين هي؟

لم تنطق كلمة واحدة، بل اغرورقت عيناها بالدموع بينما هي تنظر لي في صمت، فكررت سؤالي مرة أخرى بصوت عالٍ:

-في أي موضع تخفون حبيبتي الصغيرة إيما؟

تلك المرة الأولى التي أرى فيها لورين مكسورة، ولا تستطيع مواجهة الشخص الواقف أمامها، حتى وإن كانت خاسرة، لكنها نطقت أخيرًا، والدموع تزداد في أعينها:

-قتلها أفراد عشيرتك.

نظرت لها وأنا أضحك، واشتد صوت قهقهتي مخلوط بدموع القهرة، ودون أن أشعر لكمت لورين عدة لكمات متتالية وأنا أشعر بالثأر، وبينما أنا مُستلذ بتعذيبها، كانت هي تصرخ لولي نعمتها كي ينقذها من بين يدي، وكلما كررت اسم إبليس... اشتدت لكماتي لها وأنا أضحك كالمجنون، لم أشعر بما افعل حتى لفظت لورين أنفاسها الأخيرة، فوجدت نفسي أمام جثة لحبيبتي لورين، كانت عيناها مفتوحتين تنظر لي بتوسل حتى أتركها، فتركتها لكن متى؟!! وهي جثة هامدة أمامي، لم يبقَ لي فيها إلا جسدها الفاني، فضممتها بين ذراعيّ، وصرخت بصوت عالٍ، والدموع تسيل من عيني:

-ملعون أنت أيها الشيطان، اظهر لي أيها الجبان المتخفي بين الصخور.

كان الشيطان يراقبني من بعيد وهو يفكر في شيء آخر غيري، ولم يكن عنده الكثير من الوقت لي ولأمير داخل المعبد، لكن غريزته الشيطانية جعلته يترك عمله مع أمير، وهمس في أذني بنبرته الماكرة:

-ما زلت أرى أمامي ابن شمشون، المُنفذ الأول لضربات الشيطان، لقد قتلت حبيبتك لورين دون رحمة.. ألا ترى؟.. نعم كما أسمع ما يدور في داخلك، مهما فعلت ستكون مُنفذ لضرباتي، ولن تتغير طبيعتك السوداوية أريس، سأتركك الآن كي تفكر فيما قلت، وستعرف أني على حق يا ابن شمشون.

تركني الشيطان تائهًا وسط أفكاري المظلمة، فكنت أتمشى

داخل ممر طويل أسمع فيه كل مَن قُتل بسببي في يوم من الأيام، وفي نهاية الممر سمعت صوتًا خافتًا يطلب مني النجدة، ذلك الصوت كان يخص الشخص ذا الدماء الطاهرة... أمير.

(أمير)

تركني أريس أمام تحفة معمارية لم أقدر على مقاومتها، كانت تخص الحكيم؛ المسئول عن كل الشر داخل وخارج الكهف بمعاونة إبليس، وقبل أن أضع قدمي داخل المعبد، وجدت على مدخله جملة لا أعرف كيف قرأتها: «هنا يجلس الحكيم»..

وبعدما وضعت قدمي بالداخل، رأيت رجلًا واقفًا أمامي، ويمسك في يده اليسرى عصا تخترق سقف المعبد، وكانت عيناه تنظر إلى مباشرة على الرغم من جسده المُتحجر، دون تفكير تأكدت من ماهية الواقف أمامي، وهو الحكيم. كانت العصا التي يمسكها الحكيم السبب في الضوء الذي ينير الكهف الآن، فبنهاية العصا توجد البلورة العجيبة التي تشبه نظامنا الشمسي. اكتشافات غريبة أراها أمامي، لكن لم يسعني الوقت لاكتشاف العديد من الأشياء الأخرى، واكتشافي الأخير هو موضع قارورة السحر الموضوعة داخل أحشاء الحكيم، وبكل سهولة كانت القارورة أمام عيني، ولم أستنزف الكثير من الوقت حتى التقط القارورة، وتحركت إلى مدخل لخروج، وبينما أنا في غاية سعادتي لاقتنائي القارورة بكل سهولة، سمعت الحكيم يتكلم للمرة الأولى:

-ألا تريد معرفة سر الكهف، وما وراءه من أسرار؟!

كان صوت الحكيم خشنًا وهادئًا يشعرك بالقشعريرة، مما جعلني أقف دون حراك، بينما هو أكمل حديثه:

-ظننت أنك شخص آخر، أذكى بقليل مما أراه الآن، فالفوز بحرب خطط لها إبليس من آلاف السنين ليس بالسهل، فمن الممكن صنع آلاف القوارير الأخرى في وقت قياسي لن تتخيله، المُعضلة كلها كانت في وقت انتشار السحر، وها هي اللحظة المنشودة، والتاريخ المحفوظ منذ سنوات.

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن أقول:

-ما لا تعرفه عن شيطانك هو السذاجة، فلا يستطيع الشيطان فعل شيء دون مساعدة خارجية، وكهفه الصغير الذي صنعه هنا ما هو إلا كذبة تعيشون فيها، وكفى حديث مع صخرة لا تتحرك، تؤمن بشيطان لا يستطيع إنقاذها.

-منذ زمن طويل، ادعى رجل بأن هناك طوفان سيغرق الأرض، وفي وسط الصحراء قام ببناء سفينة ضخمة، مرت الأيام في اتهام الرجل بالجنون، وفي البداية خاف شعبي من حدوث الطوفان، فأخبرتهم بأنها خرافات، نحن نعيش في صحراء جرداء على الآبار، وأقرب مصدر للمياه من بحار أو أنهار يبتعد عنا كثيرًا، فمرت السنوات دون حدوث طوفان، وبينما نعيش حياة طبيعية انشقت الأرض، وهطلت الأمطار بغزارة، ووسط ظلمة الموقف ظهر شخص يدعي أنه وليّ النعمة، أخبرني بمخططه، فوافقت دون تردد، وعندما عَلم

سيراط بالمخطط وافق هو الآخر، وخاف من الموت غارقًا، حتى عقدنا عقدًا مضمونه البقاء تحت طوع وليّ النعمة، فصنع لنا كهفًا أسفل الأرض، عشنا فيه حياة مغايرة، نأكل فيها الديدان، ونفعل الفاحشة كعادتنا، وبينما أفراد العشيرة يعيشون حياة شبه طبيعية، أعطاني إبليس عصا، وطلب مني الوقوف في منتصف الكهف، فتحجر جسدي، وأنارت البلورة جميع أنحاء الكهف، وبُني معبد باسمي تكريماً لي ولما فعلت لأجلهم، وها هي اللحظة التي سأعيش فيها حياة طبيعية، وسأعود كما كنت في سابق عهدي، ولن أسمح لك بإفساد المُخطط، فاليوم هو يوم الوعد.

أنهى الحكيم قصته، ثم عقبت عليها:

-الرجل الذي تتهمونه بالجنون كان الصادق الوحيد بينكم، وعلى الرغم من ذلك ما زلت تكذبه، وتصدق وليّ نعمتك، يا لك من حكيم ساذج، تعيش على وهم شيطان يستغل ضعفكم ليحقق ما يريد.

-لا يهمني مَن الصادق بينهما، همي الأول والأخير على مَن أنقذني، وكان السبب في صمود عشيرتي إلى يومنا هذا.

صفقت له تصفيقًا حارًا على وجهة نظره الشيطانية، وقُلت وأنا أضحك:

-تعيش في جوف الأرض، وتتغذى على الحشرات، ويكون عقلك مُغيبًا لقرون، تلك الحياة التي يعيشها أفراد عشيرتك المغيبون، وبالنهاية يعبدون صخرة تتلقى أوامرها من

الشيطان، يا لها من حياة مثالية لا أتمناها للشيطان حتى!!

-سنعيش، وستأتي اللحظة الموعودة، ستموت أنت وأمثالك كي نعيش على الأرض دون مشاركتكم.

-حياتك على السطح إن وجدت ستنتهي قبل بدأها عن طريق طوفان فاتكم من سنوات، فالقدر لكم هو الموت لكنه تأجل قليلًا، وها هي اللحظة المناسبة تطبخ على نيران هادئة، الوداع أيها الحكيم الساذج.

تركت الحكيم وهو مُغيب، فمن الصعب تغير معتقدات رجل ولد بها، وعاش معها قرون من الزمن، لكنني أشعر بنسيان شيء هام، وهو طريقة إنهاء المهمة، فلم أجد الكثير من العقبات في طريقي، وسرعان ما وجدت نفسي في مكان مُظلم، فنظرت خلفي لأجد مدخل المعبد الذي خرجت منه منذ لحظات يتلاشى تدريجيًا، وقارورة السحر تتلاشى هي الأخرى من بين يدي وأنا أنظر لها بصدمة، فأسرعت قدماي تجاه المعبد قبل تلاشي المدخل، فلم أجد سبيل للهروب، نتيجة ابتعاد البوابة كلما اقتربت منها حتى تلاشت تمامًا، ووجدت نفسي وسط ظلام دامس، لا أرى فيه شيئًا، وفي تلك اللحظة سمعت همسات الشيطان في أذني، وهي تسخر مني ومن معتقداتي، وهناك طيف حولي أشعر به يحاول الاقتراب مني، فوضعت يديّ على أذنيّ وأنا أصرخ بصوت عالٍ:

-اظهر لي أيها الجبان المُتخفي وسط الظلال، ألا تشعر

بالخزي.

ازدادت حرارة المكان، وسمعت صوت صراخ يتزايد حولي، وانشقت الظلمة، وتحولت إلى هاوية كبيرة، فيها الكثير من البشر يطلبون الرحمة، وحولهم الكثير من الوحوش التي تطير وتشبه الأسد، وكانوا يستمتعون بعذابهم ويزيدون من حدة النيران لتتعالى أصوات الطلب بالرحمة، فتلك الوحوش هي شياطين الجحيم... الجحيم الذي ينقصه شيء هام، وهو إبليس ملك الشياطين، والمسيطر على الجحيم:

-مرحبًا بك في جحيمي المتواضع، هنا يأتي لي يوميًا الكثير من الفاسدين تاركين وراءهم أموالًا طائلة، أقوم بتوزيعها على آخرين كي يسلكوا طريقهم للجحيم، فيزداد العدد اليومي من الموتى، لتنتعش باقي الشياطين من أصوات صراخهم.

أنهى إبليس تقديمه للجحيم، وأكمل سخريته مني:

-يا لك من بشري ساذج! أتظن أنك تستطيع إفساد مخططي بتلك السهولة، دون أن يعترضك أحد، أو يحاول إيقافك؟!! أعذرك... فأنت لا تعرف قدرة الشيطان الذي يخفيها عن عالمكم الهزيل.

-أتظن أنني سأخاف منك؟! فأنا أعلم جيدًا بأنك روح جبانة، تطوف حول البشر، وتهمس في أذنهم بخبث كي يفتعلوا بعض الأعمال التخريبية على الأرض، واستعبدت القليل منهم كي ينشروا الخراب على الأرض لأنك بحاجة لمساعدة البشر

في نشر الفساد، فتلك هي السلطة الوحيدة المسموحة لك، وفي القريب العاجل سيموت كل مَن في الكهف، فهذا هو قدرهم المكتوب مُنذ الطوفان، لكنه تأجل لهدف مجهول.

فقد إبليس هدوءه، وطلب من أتباعه إذاقتي طعم الجحيم وقال:

-لا أعلم من أين لك بتلك العقة وسط جحيمي، لكنها ستزول بعد تذوق نيراني.

تطاير جسدي وسط بشر يتعذبون، وألقوا بي داخل النيران، وسرعان ما احترق جسدي، وتغيب عقلي، وانغمست وسط ذكرياتي المؤلمة وأخطائي التي ارتكبتها في حياتي، والذنب كان يطاردني على هيئة طائر ناري أمسك بي في النهاية، وظَل يأكل في جسدي ببطء شديد، وأنا أصرخ من الألم، لأنغمس في ذكريات أخرى مؤلمة تتشكل على هيئة حيوانات مفترسة، تكرر المشهد العديد من المرات، وفي كل مرة يزداد الألم أكثر من أي وقت مضى، وفي ذكرى أخرى مؤلمة، ظهر أريس من وسط الظلال كنقطة مضيئة، وانتشلني من نيران الجحيم لبداية الهاوية، موضع ما تركني إبليس لأتباعه، لكنه لم يكن متواجدًا، فالترتيبات كانت لصالحي، وعندما اختفى أريس، اقتربت مني الشياطين كي تُعيد جسدي للهاوية، لكنني حاولت الصمود أمامهم، وفي تلك اللحظة ظهر إبليس وهو متوتر، ويصرخ في أتباعه كي يمسكوا بي، فأضاء جسدي بشدة، وظهرت بوابة كبيرة أمامي، وصوت قوي يطلب مني عبورها، فاتكأت على قدمي، وعبرت البوابة، وقبل

أن تغلق سمعت صوت إبليس وهو يقول:

-لن تنتهي خططي إلى هذا الحد، سأستعبد البشرية كلها كما حلمت، وإن لم يكن في يوم الوعد هذا، سيكون في يوم وعد آخر.

انغلقت البوابة قبل أن أسمع كلمة أخرى، ووجدت نفسي داخل الكهف وأريس واقف أمامي وهو ينظر إلى يدي بفرح:

-ها أنت انتصرت على الشيطان، وبين يديك قارورة السحر.

تفقدت يديّ بلهف، فوجدت قارورة السحر بين يدي، فأردفت فرحًا:

-أخبرني بطريقة تدميرها كي أتخلص منها ومن شرّها.

تبدلت ملامح الفرح على وجه أريس إلى ملامح حزن:

-صُنع السحر كي يدمر سكان السطح، وإن احتفظت به على السطح سينفجر وحده، فله وقت معين قبل انفجاره، إلا إذا....

أسكته قبل أن ينطق كلمة أخرى:

-تريد مني قتل كل عشيرتك دون رحمة؟!

اغرورقت عيناه بالدموع، وأردف بحزن:

-أنت قلتها فيما قبل، تأجل موتنا لكنه سيأتي لا محال.

-ما تقوله لا يعني تسببي في موت أعداد كبيرة من البشر.

قاطعني قبل أنا أكمل حديثي:

-تقصد مجموعة من الشياطين أشباه البشر.

أعطيته قارورة السحر وقُلت:

-لن أتسبب في موت شخص واحد.

أخذ القارورة مني وهو يمسح دموعه:

-دمائي الملوثة تقدر.

ألقى أريس بزجاجة السحر على الأرض، فظهرت سحابة سوداء غطت الكهف كله، وبدأ نور البلورة بالإطفاء تدريجيًا، وتشققت الصخور لتخرج منها مياه كثيرة، فطلب مني أريس الهروب من الكهف عن طريق الممر الذي أتينا منه، فدعوته للمجيء معي هو الآخر، فكلٌ منا يستحق فرصة نغير بها حياتنا، وهو يستحق تلك الفرصة، اقتنع أريس وأتى معي حتى وصلنا إلى الممر وسط صرخات أفراد العشيرة، وانهيار الكهف، وارتفاع نسبة المياه به، فركضنا لنهاية الممر، وطلب مني أريس القفز لرمال السطح وهي ستسحبني لخارج الكهف، وبكل سهولة فعلت كما طلب مني، وبالكاد سحبتني الرمال مع أريس قليلًا، قبل أن يظهر شخص آخر يرتدي عباءة حمراء، سحب أريس للقاع، فأمسكت به وعدت أنا الآخر، فقال أريس وهو مصدوم:

-أوسر؟!

أجابه الشخص الآخر وهو يظهر عليه التعب:

-حاولت العديد من المرات قبل وصولك الخروج عبر الرمال لكنها طردتني، ولم تسحبني للخارج، لم أعلم السبب، فانتظرتك هنا على أمل رجوعك، وها أنت هنا، إن لم نخرج سويًا قبل غرق الكهف، سنموت سويًا يا صديقي.

صرخ أريس في وجهي كي أرحل قبل أن يشتبك مع أوسر في عراك، فرفضت تركه وحيدًا، واشتبكت معه حتى ازدادت المياه في الممر، وإن لمست المياه الرمال، ستنغلق ولن تسحب أحدًا للخارج، وبعدة لكمات لكمها أريس لأوسر، وقع نتيجتها أوسر على الأرض، وطلب مني أريس الهروب، فقفزت كي تسحبني الرمال، وقبل أن يقفز أريس أمسكه أوسر، وتشبث به، فغرق الاثنان داخل الممر، وأغلقت الرمال سحبها، أما أنا أغمى عليّ، وأفقت مرة أخرى بجانب السيارة، فحاولت نزول الكهف لكنني لم أجد رمالًا متحركة، وها هي قصة الكهف قد انتهت.

**

مر أكثر من أسبوع على حادثة الكهف، وعدت لحياتي الطبيعية مرة أخرى دون أن أسمع أصوات طبول تزعجني، وتعكر مزاجي، فقررت الذهاب إلى مريم كي أتفقدها، بعدما بحثت عن فارس وعلمت أنه مات منتحرًا في منزله منذ سنوات، وروحه هي من رافقتني تلك المدة، بينما مريم لم أتفقدها بعد، فذهبت إلى منزلها، وضغطت على زر الجرس، فتحت لي مريم وهي مبتسمة:

-مَن أنت؟

-ظننت أنني فقدتكِ حبيبتي مريم.

تغيرت ملامحها وقالت غاضبة:

-لا أعرف مَن أنت، ومَن هي حبيبتك التائهة منك، لكنني أدعى مريام، ومن فضلك انصرف عن وجهي.

أغلقت الباب في وجهي، فضغطت على زر الجرس مرة أخرى لكنها لم ترد، فتركت منزلها، وذهبت إلى مقهى المصريين لأحتسي بعض الشاي بالنعناع، ونظرت إلى الجانب الإيجابي، هو وأن مريم أو مريام على قيد الحياة، وكما أحبتني في المرة الأولى، ستحبني مرة أخرى، حتى وإن كانت المرة الأولى لعبة جسدها لي الشيطان كي أحبها، والآن قد نسيت كل شيء، ووسط تفكيري سمعت صوت صراخ امرأة سُرق منها هاتفها، واللص يركض وهو ينظر لي بابتسامة، فكانت رسالة من الشيطان لي أنه ما زال يطوف حولي، ولم تنتهِ مُخططاته.

(تمت)